إمرأة وحيدة أحبتني

وقصص أخرى

مصطفى ثابت

ليليت للنشر والتوزيع

رقم الايداع / 21094/ 2013 ط1

الترقيم الدولى / 978 – 977 – 5311 – 20 – 7

مراجع لغوى أ / أحمد عبد العظيم

غلاف / محمد أسامة

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

المراسلات :٩ش صلاح الدين / مول الوطنية التجارى

العطارين / الدور الثالث

موبايل : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧ : ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

lilettepublishing@gmail.com

dar.lilitte@gmail.com

هيئة تحرير

د/ محمد داوود

أ/ محمد الشماع

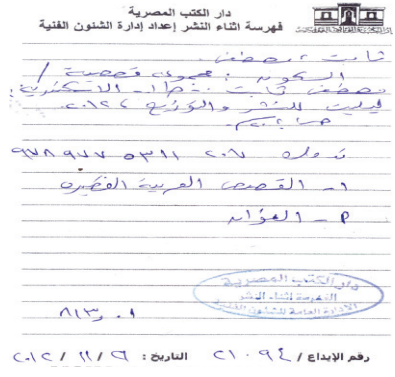

سألنى أحد أصدقائى..

لماذا تتقدم بالشكر لمن وقفوا ضدك على شُكر الذين ساندوك وألهموك ..؟

فكانت إجابتى ..

أن من وقفوا ضدى قد زادوا من عزيمتى وتصميمى على تحقيق أحلامى غير مباليًا بكم العثرات والتضحيات والإحباطات فى طريقى أما من ساندونى فهم دائمًا معى وفى قلبى و أوفر كلمات الشكر لا تُوَفيهم حقهم ..

مصطفى ثابت

زمن السـداح مـداح

التلفاز يحدث صخبًا وضجيجًا يملأ المكان، المياه تشق القنوات في الحقل أمامي،أتابعها عن كثب من حجرة صغيرة علي حافة الحقل. الحجرة مغطاة بالبوص الممتلئ بعشش العصافير .

صوت المعارك في النشرة الإخبارية التي أتابعها عن كثب يتفاعل بأعجوبة مع زقزقة العصافير أعلى الحجرة .

القتلى في سوريا يتساقطون، العرب لا يتحركون، مقتل السفير الأمريكي في ليبيا، مذابح المسلمين في بورما، عصفوران يلتقطان الغذاء برشاقة من فم أبيهم العصفور الذي عاد للتو بعد عناء السعي علي رزقه، الأخبار تحاصر عقلي، الأحاسيس الدافئة تنتابني وأنا أتطلع إلي سقف الحجرة الصغيرة خلال فتحة بين البوص يعلوها عش لأري العصافير الصغيرة التي تتراقص في قمة فرحها.

الفتحة يسدها العصفور الكبير بالقش، ابتسمت عجبًا. يبدو أن أبيهم خاف أن أحسدهم، المياه تشق القنوات، الزرع يتلألأ فرحًا بعد الظمأ المياه تتوقف أعلي القناة التي أمامي، يبدو أن أبي نسي أن يحفرها جيدًا ليتساوي قاعها، يجب أن تكون القناة منحدرة إلي أسفل حتى يسير الماء بها في انسياب تام، نسي أبي أن يمهدها جيدًا وذهب إلى زوجته الثانية وكفلني بري الزرع، لا بأس فأمي لم تغضب عندما علمت، إمرأة طيبة ترضى بنصيبها، وتحب أولادها ولم تترك المنزل حتى عندما عرفت بخبر زواج زوجها، قنوعة ربما أو بائسة، كلنا نشفق عليها وعلي حالها ودخلنا في صدام مع أبي، ولكن أمي أنهته ..(دعوه يتزوج ويعيش حياته ألا يكفي أنه رباكم وجعلكم رجال، قالتها أمي لنا في حزن).

إستسلمت للهزيمة مثلما إستسلمت شقوق الحقل لاختراق المياه الجارفة داخله، سيموت الزرع أعلى قمة القناة إن لم تصله المياه، الجفاف يجتاح الصومال، لا حل! !غضب الطبيعة لا يستطيع مواجهته بشر، يجب أن أقوم بدوري وأحفر القناة.

القناة حتى الآن وضعها سيىء قالها شاب في البرنامج الذي أشاهده قاصدًا قناة السويس.

سألته مقدمة البرنامج:

- وما الحل ؟

قال الشاب ذو الشعر الناعم والطويل

- يجب أن تنجح الثورة .

ظهر إسمه علي الشاشة مسبوقًا بكلمة " ناشط سياسي".

أمسكت بالريموت وضغط علي زر قناه أخري، برنامج توك شو أخر .

يقف مقدم البرنامج وأمامه عدد كبير من الآثار التي استطاعت الشرطة إنقاذها قبل تهريبها إلي الخارج بمساعدة عم حسين الذي يستضيفه المذيع وعندما سأله عن مهنته أجاب بكبرياء وسعادة

- خبير أثار.

المياه توقفت عند أعلي القناة ولم تستطع الإختراق. حرارة الجو عالية الساعة الثانية ظهرًا، قنوات الري في حقلنا يجب إعادة حفرها وتنسيقها بطاقتى الشخصية أمامي علي المائدة ومكتوب بها طالب.

حشرة صغيرة في وسط إحدى قنوات الحقل تلهو مع جذور النبات العصفور يرنو إليها ويستعد للإنقضاض عليها. راقصة ترقص علي قناة

الأغاني بأناقة، يظهر إسمها علي الشاشة مسبوقًا بكلمة (فنانة)، المياه تتبخر بفعل حرارة الشمس اللاسعة من إحدى قنوات الحقل، إجتماع ممثلي دول حوض النيل خبر قرأته علي سطح إحدى القنوات وأن أتنقل بين القنوات .

العصفور ينقض بسرعة البرق صوب الحشرة، امرأة تعبر الطريق في أحد الأفلام علي شاشة قناة الأفلام.

المياه ستندر.. معظم الترع في مصر يحدث فيها فقد هائل من المياه ،قالها أحد مقدمي البرامج الكروية وهو لاعب كرة أساسًا، الرئيس المصري يزور أمريكا.(القرض)حرام شرعًا . . قالها أحد الشيوخ علي قناة دينية.

(الضرورات تبيح المحظورات) قالها شاب في أحد البرامج الثقافية.

عقلي أصيب بالتشتت، الحشرة تهرب تحت جذر النبات ويفشل العصفور في إقتناصها، المرأة تموت في الفيلم بعد ارتطام السيارة بها، الراقصة تتوقف عن الرقص وتمسك المايك وتقول بعلو صوتها

- يجب أن ندافع عن حرية التعبير .

معدل بخر المياه، يزداد ماذا لو قمنا بتغطية كل الترع وقنوات الحفر في مصر حتى نمنع البخر ؟ فكرة واتتني للتو، ولكن كيف وما معدل التكلفة ؟ ليس مهمًا المهم أنني جئت بالفكرة في زمن السداح المداح.

أمسكت بطاقتي وشطبت علي كلمة طالب وكتبت مكانها (خبير مائي).

إمرأة وحيدة أحبتني

كانت تبتسم لي بإستمرار أثناء مروري أمامها وهي جالسة أمام منزلها القابع علي ناصية شارعنا المتعرج، إبتسامة دافئة مليئة بالحنان وعيناها الساحرتان مشدودتان صوبي بقوة، عمرها لا يتجاوز الخامسة والعشرين ربيعًا

- "جيران جدد في شارعنا لا أحد يعرف شيئًا عنهم"قالها أبي عندما سألته عن هوية سكان هذا المنزل.

لم تكن تلك الفتاة هي فتاة أحلامي، ولم تتربَ معي في الصبا، وأيضًا ليست زميلة لي في كلية الهندسة ولا أعرف شيئًا عنها سوى أنها الفتاة الوحيدة التي ابتسمت في وجهي قد تندهش من ذلك، ولكني لا أندهش؛ فقدت عيني اليمني وأنا في السادسة من العمر بسبب لعبي لكرة القدم، كان يوم كاحلاً في حياتي إلي درجة أنني قد أحسست أن عقارب الساعة قد توقفت، كل الأطفال حولي يصرخون يجرون صوبي البعض يهرول بعيدًا عندما رأي ذلك المشهد النادر.

كنت مهاجمًا من طراز فريد يعتبرني البعض فلتة من فلتات الزمن ويحقدعليّ الكثيرون، فقد كنت أفضل لاعب في حارتنا وكل كبار لعيبة الحارة يطلبونني بالإسم للعب معهم إعجابًا وتقديرًا لموهبتي الفذة في المراوغة بالكرة والتسديد وصنع الهجمات. كنت محل أنظار الجميع: كبار، وصغار، رجال، ونساء، فتيات، وأطفال حتى جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن في ذلك اليوم العاصف.

حيث انفردت بحارس مرمي الفريق الآخر وأصبحت قاب قوسين أو أدني من إحراز هدف يكلل مجهود فريقي بالفوز بالبطولة الودية في الدقائق

الأخيرة من المباراة، راوغت الحارس ومررت منه بالكرة وكان يكبرني بعشرة أعوام وكل الجمهور يصفقون بحرارة ويشجعون بسعادة وهدف الترجيح علي وشك الإحراز، ولكن فجأة وبدون مقدمات...

إرتطمت بقائم المرمى وصرخت بقوة من شدة الألم فقد إخترق شيء ماء وجهي وتلوثت يداي بالدماء وأصبح كل شيء كاحلاً مظلمًا أمامي.

حسنًا إستيقظت علي نور عالٍ في غرفة في مستشفي لأكتشف أنني أري نصف الغرفة فقط حيث أصيبت عيني اليمني بوخز من مسمار في قائم المرمي وأيضًا أصيب خدي الأيمن بجرح قطعي غائر إندمل ببطء، ولكنه ترك موضعًا مشوهًا.

ومنذ ذلك اليوم أصبح وجهي نصف وجه وتجنبني كل من كان يهرول صوبي من قبل. حتى الأطفال يتهامسون عند مروري بالقرب منهم ساخرين.

والأسوء أن الفتيات بدورهم تجنبونى وأصابتني حالة حزن وإنعزال تامة لازمتني حتى ذلك اليوم الذي رأيتها فيه.

يومًا مختلفًا.. حسنًا إنها تبتسم وتتطلع صوبي بإعجاب ذهابًا وإيابًا نظراتها لا تتغير. شيء ما يجذبني إليها، ولكن ما يجذبها صوبى ؟ ألا ترى وجهي ؟ ألا تنفر منه ؟ يبدو أنها مثقفة، ولكني لا أعرف مستوى تعليمها. لا أعرف إسمها. لا أعرف شيئًا عنها "جيرانها لا يعرفون شيئًا عنها" أو يبدو أنهم يتهربون من الإجابة.لا بأس سأحاول حل ذلك اللغز، وجاءتني الفرصة أثناء عودتي من الكلية، كانت جالسة علي المصطبة وبيدها دمية علي شكل رجل يرتدي زي بدلة العريس في يوم زفافه وتحلق بعينيها صوب أرضية

الشارع، حتى اقتربت منها متوترًا رفعت وجهها صوبي وابتسمت ابتسامة صافية بريئة، ووجهها البشوش يبعث الطمأنينة في النفس والارتياح ؟ دق قلبي بعنف، هل أحبها، لا تتعجل يجب أن تتعرف عليها.

قلت:" سلام عليكم".

أجابت في هدوء:" وعليكم السلام".

- هل أنتم السكان الجدد في حينا؟

- نعم .

- ما إسمك ؟ قلتها في توتر.

إبتسمت وهي لا تحرك جفنيها وعيناها تحملقان صوبي :

- إسمي صابرة ؟

- صابرة .... قلتها في تعجب!

- أنت تندهش، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب .

- وما هو السبب ؟

- السبب أنني كفيفة فسماني والدي صابرة .

إهتز قلبي بقوة، وإبتلعت ريقي من شدة الإحراج، وسرت رجفة في أوصالي لا أعرف مغزاها، يبدو أن عقارب الساعة توقفت ثانية.

قالت : لماذا صمت ؟.

- هل تعرفينني ؟.

- نعم أعرف خطواتك وأميزها عن خطوات الآخرين.

- حسنًا عن إذنك.

تحركت ببطء إلي الأمام، ذاهبًا إلي منزلي تغشو وجهي سحابة حزن غابرة

إنها لا تحبني. هي تبتسم لجميع المارة وأنا واحد منهم.

- أنا لا ابتسم سوى لك ؟ .

جملة سمعتها هزت أعماقي وتسمرت قدمي مكانها واستدرت إليها بأعجوبة، وسألتها في حيرة : هل قلتي شيء ؟ .

- نعم ما سمعته ؟.

- لماذا ؟.

- حتى ألفت انتباهك ؟

- هل تحـ .... ؟ لم أكملها.

قالت في هدوء: لا حتى تفعلها أنت، ولكن إعلم أنني أعرف كل شيء عنك ؟.

- من أخبرك ؟

- قلبي، ولا يكذب قلبي أبدًا .

- نظرت إليها في هدوء واهتز قلبي من جديد لا لشئ سوى أنني أدركت فعلا أنها تحبني، الفتاة الوحيدة التي أحبتني ولم تحاسبني علي عيوبي فلماذا أحاسبها ؟!

- كيف ستعيش معها ؟ حدثتني نفسي بخبث. لا أعرف الإجابة، ولكن الحب يطمث كل شيء سلبي أمامه ويمحو كل العقبات. وسعادتي من الممكن أن تكون معها. حسنًا أعطِ لنفسك فترة لتتعرف عليها عن قرب، ولكن ضع في عقلك أنها المرأة الوحيدة التي أحبتني .

أنت ذراعي اليمني

- هل تريد أن تعمل أم لا ؟!
قالها الرجل في عجرفة وغضب وأنا جالس أمام مكتبه أتطلع إلى لافتة صغيرة مكتوب عليها إسمه ويعلوها عبارة المدير العام.
قلت بتحدي: لا سأفتتح مشروعًا خاصًا بي.
صمت الرجل برهة وكأنه يبتلع المفاجأة ثم قال بجفاء:
- مع السلامة .
وأعطاني ظهره حتى يهرب من مصافحتي، خرجت حاملاً خفي حنين، ولكني رغم هذا سعيد، الآن أنا حر طليق لن يستطيع التحكم فيّ.
في ستين دهية .. قلتها في نفسي عندما أغلقت باب حجرته خلفي، توجهت إلي السكرتيرة لأخذ أوراقي وأنا منكدًا، تغشو وجهي سحابة حزن لفقدان العمل، وينتابني إحساس بالخوف من التعثر من عدم الحصول علي وظيفة أخري
- تفضل يا دكتور سنفتقدك وفقك الله ولا تنسانَ قالتها السكرتيرة بابتسامة مصطنعة علي وجهها.
- شكرًا أستاذة إنجي.. أنا أيضًا سأفتقدك.
- قلتها بخجل إمتد إليها لتعرض بوجهها عني ثم إستطردت
- هل من الممكن أن أتصل بك لأطمئن عليك .
هزت رأسها إيجابًا بابتسامة خافتة ثم إستأذنت لترد علي الهاتف الذي جاءها من غرفة المدير العام، ودعتني بأصابعها ثم أسرعت صوب غرفة الإدارة تحركت ذاهبًا إلي الدرج لأفاجئ بسلطان ابن عمة صاحب الشركة وللعلم صاحب الشركة هو المدير العام أيضًا، رمقني سلطان بابتسامة

ساخرة ونظرة مليئة بالتشفي والسخرية وقال متهكمًا: مع السلامة يا دكتور لقد أطاح بي من الشركة مثلما أطاح بالكثيرين من قبلي ليتثني له الإنفراد بالإدارة والهيمنة علي صنع القرار .

هبطت الدرج وأنا مهزوم وغاضب، تصعقني كلمات سلطان وأتذكر كلمات المدير العام: أنت ذراعي اليمني أثبت كفاءتك وستأخذ ما تريد من المال حتى إن كان مليون جنية سنويًا .

قالها لي في أول إلتحاقي بالعمل في شركته، كنت خريجًا جديدًا من كلية الطب البيطري، شاب في ريعان شبابه ممتلئ النشاط والحيوية حسدني زملائي علي العمل في تلك الشركة الكبري التي تعمل في مجال صناعة أعلاف الماشية والطيور.

وإندهشت عندما رأيت كل العاملين في الشركة معظمهم من الشباب (يبدو أن ذلك الرجل يحب الشباب ويريد مساعدتهم) قلتها في نفسي.

وألهبني الحماس وصممت علي إثبات جدارتي وكفاءتي، أو كل إليّ الرجل جانب الدعاية لشركته مع التجار والمزارعين وأصحاب المزارع ووعدني بنسبة أرباح خمسة في المائة، وكانت مبيعات شركته عند إلتحاقي بها لا تتجاوز مليون جنية شهريًا، رغم أن العلف الذي يصنعه من أجود أنواع الأعلاف، ولكن ما السبب ؟

دارت الأيام وعرفت الحقيقة من أحد العملاء أن الرجل الذي أعمل عنده لص، كان يعمل في إحدي الشركات الكبري محاسبًا وإختلس ملايين الجنيهات دون أن يترك دليل يدينه، وهرب للكويت وعمل بها عامين ثم عاد وأنشأ شركته، لم أصدق العميل فى البداية، وظننت وبعض الظن إثم

أنه حاقد علي صاحب الشركة، ولكن سرعان ما أكد لي الكثير من الناس تلك القصة.... لم أصدق ..

واجهت الرجل بالحقيقة احمر وجهه وقال بحزن مصطنع : لا تصدقهم إنها شائعات عليك أن تصححها للعملاء أنت ذراعي اليمني .

وللأسف صدقته، وحزنت عليه، وهزتني كلماته لدرجة أن الدموع إنسابت من مقلتي وعزمت علي مساعدته، خرجت للعمل وكان مديري هو مهندس زراعي إسمه (مرتجي) رجل مثقف ومحترم عمره يتجاوز الخمسين، أجره لا يليق به ولا يليق بخبرته، كلمات أسمعها هنا وهناك أن الأجور ضعيفة وأن معظم العاملين متذمرين. حدثتني نفسي أنهم يكذبون ويريدون تطفيشي من الشركة .. (لا تصدق أحدًا) قالتها لي أمي.

- كنت لا أنام ليلاً سوى أربع ساعات تقريبًا، أستقل سيارة الشركة وأنطلق علي الطرقات إلي كل العملاء في شتي محافظات مصر، أحاول جاهدًا تغيير الإنطباع السلبي عن صاحب شركتنا وفتح تعامل مع عملاء جدد،وبعد أربعة أشهر زادت مبيعات الشركة من خمسة إلي سبعة وثلاثين عميلاً، أحسست بشعور بالغ من السعادة وطار قلبي إلي السماء، لقد نجحت كمندوب للدعاية، يجب أن أستعين بكل الكتب، المراجع في علم الدعاية والموارد البشرية .

شكرني الرجل وهو في قمة سعادته، وقال لا تقلق فنسبتك في الأرباح ستأخذها أخر العام، ولكن عليك أن تبحث لي عن طبيب صديقك يساعدك في مهامك.

خرجت من عنده هائمًا وغارقًا في أحلامي. لقد أعطاني مهمة جديدة وإزدادت ثقته بي، جاء الطبيب الآخر وتسلم عمله وبعده بأيام جاء سلطان من الإمارات وتخلص الرجل من مرتجي وأطاح به خارج الشركة، وأوكل سلطان إلي زميلي الجديد كل مهام عملي وبالمناسبة سلطان حاصل علي دبلوم تمريض، ابن عمة صاحب الشركة، زادت الأمور تعقيدًا بيني وبين سلطان لعدم فهمه قواعد العمل. وانخفضت مبيعات الشركة لأدنى مستوياتها، وأوعز سلطان لصاحب الشركة أنني المتسبب في ذلك وأنني أحرض العملاء ضده.

ولم يبذل سلطان جهدًا كبيرًا في ذلك؛ فقد كان صاحب الشركة يحضر لإقالتي والإطاحة بي بعد كشفي للعديد من علامات الإستفهام حوله.

مازلت علي الدرج، ضاع جهدي وتعبي واليوم أنا خارج الشركة لن أحصل علي أرباح، لن أحصل علي أي شيء،(الشباب هم الأمل) كلمات كان دائمًا يقولها لي إنسالت علي ذاكرتي المشتتة وهزت أعماقي وأنا أهبط الدرج الثالث، إرتطم وجهي بعش عنكبوت في ركن الجدار، إهتز العنكبوت ثم إنقض علي ذبابة كان يلفها بخيوطه وهرع يمص سائلها دون رحمة .

لقد مص ذلك الرجل سائل تعبي وجهدي، ضحكت ساخرًا وإنهالت الدموع علي وجنتي وأنا أسارع الخطوات للخروج من مبني الشركة وقد باتت سجن بلا هواء حتى خرجت للطريق.

- لا تحزن فالكثير من الشباب فريسة للعناكب.

قالتها نفسي في حزن وأنا أنتظر ميكروباصًا يقلني إلي منزلي.

جاء الميكروباص وكان ممتلئًا ما عدا الكرسي الذي بجوار السائق. دلفت

للسيارة معزولاً عن عالمها الخاص حتى إخترق صوت السائق أذني وهو يطالبني بإشعال سيجارة في فمه ويشير إلي الولاعة بجانب الفتيس.
أمسكت بالولاعة وأشعلت له السيجارة ليضحك ضحكة هستيرية ويقول - أنت ذراعي اليمني .
ثم رفع ذراعه اليمني عن عجلة القيادة، إنها ذراع صناعية مركبة، ذراعه مبتورة، وروى لى قصته دون أن أسأله، أخبرنى أنه كان سائقًا على ميكروباص أخر لرجل متعجرف وطماع، وذات يوم انقلبت السيارة به ونقل إلى المستشفى واستيقظ ليجد نفسه بذراع واحد ولم يحصل على شئ من صاحب السيارة سوى تسريحه من العمل وتاهت به السبل حتى رفق به أحد سكان حارته واشترى ميكروباصًا وجعله سائقًا. وأنهى الرجل كل عراقيل التراخيص بسبب علاقته الوطيدة مع عدد لا بأس به من لواءات المرور، ضحك بهستريا وكأنه يحتوى صرخات نقم بداخله ويمنعها من الخروج وإبتسمت ساخرًا وجاريته في الضحك وهو يرفع صوت الكاسيت بيده اليسري لتنطلق أغنية شعبية صاخبة .

سور المدرسة

المدرسة مزدحمة عن آخرها، التلاميذ ينهالون علي بوابتها يمينًا ويسارًا، أمي تودعني وتضع سندوتشات في حقيبتي التي أحملها علي ذراعي ثم تقبلني وتنصرف. اليوم هو أول أيام المدرسة في حياتي، سور المدرسة الشامخ يحاصر الجميع في أرض الطابور.

الطلاب يتطلعون إلي بعضهم بدهشة واستغراب. وأنا حائر في أرض الطابور، إصطف الجميع بناءًا علي تعليمات ناظر المدرسة الشامخ أمام العلم في وسط الفناء ويرمق الجميع بصرامة ووعيد. وعيناه مثل حبتين من الترمس خلف نظارته المصنوعة من قعر أكواب الشاى، وأنا خائف يتطلع صوبي بنظرات حاسمة ويشير لي بالإقتداء بالطابور، أتحرك يسارًا حتى يصبح الصف مستقيمًا .

قال الناظر متوعدًا :

- النهاردة أول يوم لكم في أول ابتدائي الكل لازم يتبع التعليمات، الحضور مبكرًا الساعة ثمانية، تحية العلم، الذهاب إلي الفصول، ممنوع الوش، ممنوع حد يقفز من فوق السور .

حسنًا لقد عرفت حل اللغز، سور المدرسة لعدم التزويغ، أمي أوصتني بالإلتزام والإنصات إلى المدرسين، طالبتني بالاجتهاد والاقتداء بأخي الأكبر أيمن الأول علي دفعته والطالب في كلية الطب، يجب أن أنجح وأتفوق لأرد لها الجميل لقد وعدتني بكرة هدية عند نجاحي في الصف الأول، ألهبت حماسي بالشيء الذي أحبه وأعشقه، قمنا بتحية العلم ثم وزعنا المدرسون علي الفصول، وأخذنا الحصة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى جاءت

الفسحة، الضوضاء تملأ المكان، الطلاب يفرون إلي فناء المدرسة مدرس الألعاب يرمي الكرة لأحد الأطفال. يصرخ :

- مخرومة يا أستاذ .

يرد المدرس بحزم:

- ده اللي موجود .

ناظر المدرسة لا حس له ولا خبر، مكتبه مغلق، إحدي المدرسات تهمس في أذن صديقتها

- راح يدي درس ده شايلهم علي قلبه .

الفوضي تعم المكان وأنا حائر متسمر مكاني، أمي أوصتني بالالتزام، ولكن يبدو أنها نسيت أن توصي به الآخرين.

المدرسون يتحركون كاللصوص هاربين من البوابة، مجموعة من زملائي في الفصل يتسلقون سور المدرسة الخلفي ويشيرون إليّ ومعهم كرة جميلة .

قدمي تأكلني لألعب، كلامات أمي تحاصر عقلي، أرى شبحها أمامى.

أحد الطلاب يصرخ:

- هتيجي معانا ولا أيه ؟.

مازلت حائرًا.

قلت في تردد:

- إنت هتزوغوا دامش كويس.

قال أحدهم في غضب:

- ده مش تزويغ السور ده اتعمل عالي علشان اللي يعديه يستاهل يلعب كرة.

رددها الآخرون وهم يضحكون بهستريا، المدرسون يشربون الشاي بلامبالاه ويتجاذبون أطراف الحديث، علم مصر منكس وقد مزقه أحد الأطفال، لا وقت للتردد يجب أن ألعب معهم لأكسب صداقتهم وإلا سأظل وحيدًا.

هيا هيا اذهب - حرضتني نفسي- تسلقت سور المدرسة بعناء شديد ثم هبطت إلى أرضية الفناء سعيدًا بمنظر الملعب .

الآن عرفت وظيفة سور المدرسة، شكرًا لسور المدرسة جعلتني رياضيًا وساعدتني في ممارسة هوايتي المحببة لأنني أستحق ذلك .

لحاف ستي

الأمطار تتساقط بغزارة، الرعد يتشاجر مع زجاج نافذة غرفتي المطلة علي الشارع، أصدقائي علي الفيس بوك مازالوا يرسلون الرسائل إلي حسابي الخاص أملاً في أن أرد عليهم، قدمي اليمني ترتعش بقوة، ألم شديد ينخر في أعماقي، جسدي مستسلم علي السرير وراقد أنتظر النهاية، بندول الساعة توقف عن العمل، التكييف في أفضل حالاته وأعلي مؤشراته والجو حولي شديد البرودة، فوقي ثلاث بطاطين وجسدي يرتعش وينتفض بقوة، صوت جدتي يأتي من العالم الآخر هامسًا بكلمات لا أفهمها ؟! النداهة تشير لي من خلف زجاج النافذة، الرعب يقيدني، الكلمات تتعثر في حلقي، الصرخة تحتضر ببطء علي شفاهي الإستغاثات لا تخرج من الحنجرة، صوتي يختنق النداهة تقترب، صوت جدتي مازال غامضًا، العام الدراسي قد إنتهي النتيجة علقت ورسبت كالعادة، ولكن هذه المرة أنا خارج الجامعة لزيادة رسوبي إلي أربع سنوات متتالية، أبي وأمي لا يعرفان الحقيقة، يقضون أيامهما منتظرين عودتي بالشهادة، أبي يتفاخر بي أمام أهل العزبة، أمي لم تترك منزلاً في القرية إلا وجعلت منى بطلاً وعالمًا وطبيبًاً فذًا لم تنجبه امرأة من قبل، حكاياتها تتكرر أمام الناس ونهايتها أني سأعود إلي بلدتي وأفتتح عيادة ومركز طبي وأعالج أهل البلدة بالمجان.

يا سلام ؟؟الناس تنتظر العودة، أصبحت بطلاً قوميًا ومنقذًا ينتظره العامة لتغيير الأوضاع .

لا أحد يعلم الحقيقة إلا جدتي، لكنها لن تتكلم ولن تخبر أحدًا صوتها مازال مختنقًا، النداهة تقترب بسرعة البرق، الكتب مكدسة علي مكتبي، جسدي يتألم ويرتعش، ذنوبي تتحول إلي شيطان مارد بداخلي يقطع أوصالي، جدتي

تعرف هذا الشيطان جيدًا. حذرتني منه كثيرًا، أوصتني أن أتغطى بلحافها الذي كانت تحيكه من أجلي، أوصتني بالمذاكرة والإجتهاد، غرست بداخلي شجرة المبادئ والمثابرة. شلت الشجرة وقطعت لحائها وأوراقها بيدي، حلت الذنوب مكانها، أصدقائي في البار لا يعرفون من يسقط، أيامي كانت معهم في منزل الشيطان، ليلاً ونهارًا نحن ضيوف الشيطان، تحولت حياتي لجحيم، في البداية كانت بحثًا عن الرفاهية، شاب قادم من الصعيد إلي القاهرة، أراد أن ينعم بحياته، أن يتعرف علي العالم الآخر الذي لا يراه إلا في السينما، اقتحمه مع بضعة شباب من أجل التجربة، تحولت التجربة إلي هواية ثم إلي إحتراف.

علمني الشيطان الإحتراف، تتلمذت علي يده، إنقطعت صلتي بالدين ليلاً ونهارًا أعربد مع الآخرين، ليلاً ونهارًا مع العاهرات والخمور، لا مكان للحاف جدتي .

تركته من أجل الرفاهية، ألقيت به في قاع الدولاب، استعنت بالبطانية المستوردة، أستورد حياة لا أعرفها، أُصبحت جزءًا مني وأصبحت جزءًا منها، حواديت جدتي مازالت في ذاكرتي، نصائحها وغرامها بالنداهة في عقلي ، النداهة تقترب، الرعد يتعالي، جسدي ينتفض بقوة، أناملي ترتعش أصدقائي مازالوا يبحثون عني علي الفيس، يجب أن أعود إني أحتضر.

صوت جدتي ما زال مختنقًا .

الجميع في البلده شغفون لرؤيتي، قبر جدتي لم أره منذ ستة أشهر. حياتي علي الهاوية، مازالت أرتعش ؟! صوت جدتي يتعالي، الطعام أمامي علي

صينية، ولكن الشهية منعدمة، يجب أن أقاوم، النداهة تقترب وترفع يدها المليئة بالمخالب كما كانت تروى جدتي.

- شريط الذكريات ينسال علي ذاكرتي أيام الصفا والطفولة يرسمها القدر الآن أمامي.

لحاف ستي في الدولاب ؟ جسدي يرتعش، النداهة تقترب.

لا أستطيع التحرك بضعه ثواني .....

البطاطين علي الأرض، لحاف ستي فوق جسدي، النداهة لا حس لها ولا خبر أناملي تهدأ ؟ جسدي يشعر بالدفء، الأمطار تنحسر، الرعد يختفي صوت ستي يأتي هامسًا: تصبح علي خير

الشمس تشرق، صفحة جديدة في حياتي، إستيقظت من النوم سعيدًا لا أعرف ما السبب، نشيطًا، جسمي هادئ ومسترخي. الكمبيوتر ما زال يعمل، أصدقائي لا حس لهم ولا خبر لا رسائل جديدة في حسابي الخاص إنتظر إنها رسالة... من ....لا أصدق إنها من جدتي تقول :

إوعى تنام من غير ما تكون إتعشيت .

چاسمین

لعلك لا تعرفها، أو ربما سمعت عنها من زملائك في الجامعة، تحديدًا جامعة المنصورة، فتاة في الصف الثالث في كلية الهندسة. ذاع صيتها حتى وصل إلي لندن....لا تتعجب .

فقط إلتقط أنفاسك وتوقف عن الأسئلة المتكررة ..

- حلوة ؟!

لا تنطبق هذه الكلمة عليها فجمالها لا يستطيع بشر أن يصفه ولكني سأحاول عيناها عسليتان بدرجة نقاء الذهب، أنفها صغير متلألئ كالماس، خداها ناصعان ومشدودان، بشرتها بيضاء بدون إفراط، شعرها أشقر بني اللون شفتاها ثمرتان متقابلتان من اللوز، صوتها هادئ ممزوج بالناي، عودها متوسط القوام، لا تتبختر في مشيتها ولا تتباطأ، تشعر إنك أمام ملاك عابر سبيل، نظرتها صوبك سهم نافذ إلي قلبك لن تستطيع أن تتصدي له.

لماذا أنت شارد ومتسمر في مكانك؟ إنتظر

- أخلاقها ؟

هذه الكلمة أيضًا لا تنطبق عليها، لا ترتدي بناطيل ضيقة، لا تضحك بصوت عال، حافظة للقرآن عن ظهر قلب، لا تفوتها الصلاة في المساجد لا تسلم علي شاب، لا تقف مع شاب منفردة بدون إحدى صديقاتها، لا تترك مناسبة خير، يوم أيتام، تبرع بالدم إلا وكانت في المقدمة باختصار هي مدرسة من الأخلاق، لا تلهث وأغلق فمك فلم تعرف شيئًا عنها بعد.

- مثقفة ؟

هذه الكلمة أيضًاً لا تنطبق عليها. لعل إسمها يوحي لك أنها من طبقة أرستقراطية ووالدها رجل أعمال. لا والدها رجل بسيط (على قد حاله)

يعمل خادمًا عند أحد رجال الأعمال الوطنيين لا ينفق سوى نصف راتبه علي أسرته، الباقي يبتاع لهم شتى أنواع الكتب في كافة المجالات، حتى امتلك في منزله ثلاثين ألف كتاب نتاج إدخاره طيلة ثلاثين عامًا .

.. أهبل ؟!

لا تقل هذه الكلمة عليه؛ لأن صاحب الشركة التي يعمل فيها وصل إلى ما فيه من ثروة ونفوذ بفضل الكتب، كان رجلاً فاشلاً يعمل في جمع القمامة حياته مليئة بالأحزان، عمره تجاوز الخامسة والثلاثين ولم يتزوج، حتى وجد كتابًا عن العظام قرأه ..هاله كمية العظام الملقاة مع القمامة، لماذا لا يستغلها الناس ؟ من المؤكد أن لها قيمة ما ؟ وجد تلك القيمة في الكتاب وهو أن يقوم بتجميع العظام ثم طحنها ثم تحويلها إلى جلاتين الذي يستخدم في العديد من الصناعات الدوائية والتكميلية. بدأ تنفيذ الفكرة، واجه العثرات، تصدى لنجاحه الفقر، ولكنه قهره عندما نجح في إقناع سكان حارته بإعطائه منحة سيردها في القريب.

الآن هو صاحب أكبر مصنع جلاتين في العالم ويمتلك ثلاث شركات أدوية كبرى منتشرة في خمس عشرة دولة عربية بفضل كتاب واحد لذلك قرأ الرجل الكثير، وصنع مكتبة كبرى في شركته؛ لتثقيف العاملين في شركاته وتطوير أدائهم؛ لهذا نجح، كان ذلك الرجل هو قدوة والد جاسمين (عباس) فأراد عباس أن يدخر لأولاده الثلاثة جاسمين وعطر وكيلوباترا شيئًا مختلفًا لو ادخر مالا سينفذ يومًا ما، أرضًا ربما تبور عقارًا ربما ينهار أما الكتب..لعلك تقول ربما تحترق ..لا عباس رجل زكي أحاط مكتبته بمواسير الأوكسجين المضغوط وضع أسفل سقف المكتبة رشاشات من المياه

تعمل بجهاز حساس، تلك التقنية العالية لم يستطع عباس ابتكارها منفردًا جاسمين تحملت العبء الأكبر .

نعود ... قرأت چاسمين كل تلك الكتب في جميع المجالات جغرافيا، تاريخ علم نفس، إجتماع، طب، جيولوجيا، قصص، روايات، سيرة، سياسة إقتصاد.. إلخ ..

حتى أصبحت عالمة في الثقافة ودخلت موسوعة جينس للأرقام القياسية كأكثر فتاة تمتلك قدر هائل من المعلومات في شتى المجالات، وأقيم لها حفل تكريم عالمي في لندن من إحدى المجلات العالمية، لعلك تفاجئت لدرجة الذهول الذي كبل حبالك الصوتية ..ودق قلبك بقوة تلاطم الأمواج وتريد أن تطير وتعبث مع الفراشة التي تلهو أمامنا في الحديقة .

قال صديقي:

- مغرورة ...

هذه الكلمة لا تنطبق عليها، لا تسبق حديثها بكلمة أنا، لا تقاطع شخصًا يحاورها، لا ترفع صوتها، لا تغضب أبدًا، تمتص الصدمات داخل أحشائها وتفكر كثيرًا في الرد _ حتى لا تجرح من أمامها _ حتى و إن كان جرحها لا تعرف شيئًا عن مكر وخبث بنات جيلنا، تقرأ كلماتك قبل أن تقولها وتصحح أسلوبك في سردها، تجعلك تتمنى أن تقبل أقدامها.

ذكية ؟!

هذه ... الأولى في كل مراحل تعليمها، تصحح أخطاء أساتذة الجامعة وتشرح لهم النظريات التي يحفظونها ولا يجيدون تطبيقها، تكتب جميع المحاضرات وتعيد صياغتها بشكل جذاب وأنيق؛ يجعلك مدركًا وفاهمًا لكل

حرف في المقرروللعلم ... فهي تصور كل تلك المحاضرات، وتعطيها لكل الطلبة بالمجان.

لعلك تسأل ...هل تفقد الكثير من المال؟

لا إنها عبقرية فهي فقط تأخذ من كل طالب ورق أبيض الى جانب حبر طباعة وتصور الأوراق في ماكينة تصوير في مكتبة والدها لا لشيء سوى أنها تساعد الآخرين بدون مقابل.

أعتقد إنها من زمن ألف ليلة وليلة، معجزة لا تتكرر أين هي الآن ؟

قالها صديقي.

- هي مع الملائكة ؟.

- لا أفهم..

- إنها في السماء ؟.

- السماء ..! هل ماتت ؟

- لا ...إستشهدت.

- كيف ؟.

- أنقذت طفلاً صغيرًا يعبر الطريق فدهستها السيارة.

- زفر صديقي بضيق وتنهد من الأعماق ثم قال:

- إن لله وإن إليه راجعون

- هل تزوجت..؟

- ماتت يوم حفل زفافها ..كانت بجوار عريسها في سيارة الزفة والسيارة تستعد للانطلاق صوب قاعة الفرح ثم رأت الطفل فانطلقت لإنقاذه ماتت لإنقاذ روحه ونحن كل يوم نقتل الكثير من الأطفال، نعاملهم بقسوة

نطردهم من المدارس، نقتل الموهبة بداخلهم، لا نرحمهم حتى في سوق العمل. انظر هناك هذا الطفل الذي يعمل ماسح أحذية لقد وضع صورة جاسمين علي ظهر (التشيرت) الذي يرتديه.

- لعلك موهوم بها ؟

هذه ..لا تنطبق عليّ ...أنا لا أحبها فقط.. أنا أعشقها لدرجة الجنون ...

- لماذا لم تتقدم إليها ؟.

- طلبت مني أن أقرأ كل الكتب في مكتبة والدها ثم تمتحني ولو حصلت علي نسبة ٩٥٪ سوف تتزوجني .

- وهل حصل زوجها علي تلك النسبة ؟

- لا حصل على ٩٦% لذلك هو استحقها...

أشرت لصديقي أن يتبعني صوب غرفة مغلقة في شقتي، فتحت الباب.. وقف مذهولاً من كمية الكتب في الغرفة، قرأت سؤالاً حائرًا علي شفتيه... أجبته: هذه هي الكتب التي طلبت أن أقرأها..

وأنا أذاكرها حتى تمتحنني عندما ألقاها في الجنة ، ضحك صديقي ضحكة هستيرية .

ثم قال"لا يوجد امتحانات في الجنة "الأخيار يدخلون الجنة ..والأشرار في النار .

- كلامك منطقي، ولكني أشعر بطمآنينة بداخلي، وإحساسى لا يكذب أن الله سيحقق أمنيتي وأقابلها لأثبت لها أني لست شاب طائش وكذاب، لقد وعدتها أن أجاهد نفسي وأحفظ كتبها وأدخل الامتحان مرة أخرى.

وأنا أنتظر تلك المرة بفارغ الصبر، أنا أنتظر جاسمين لأني لن أتزوج من

غيرها فهل سوف تنتظرني هي، أدعو الله في كل صلاة..وعلى الله قصد السبيل...

السـراب

(يقف وحيدًا في صحراء جرداء قاحلة لا زرع بها ولا ماء، حرارة الشمس الحارقة تهاجم رأسه الصلعاء، زمزمية الماء لم يتبقي منها سوى نصفها، حتمًا سيصاب بالعطش بعد قليل وتفرغ الزمزمية ويموت عطشًا، إقتربت نهايتك، لا أحد سيسمع صراخك ما الماء الذي تراه عن بعد سوى سراب الصحراء. تحرك، ولكن لن تجد شيئًا سوى السراب، جلس الشاب مذمومًا ومكتئبًا يحدث نفسه هل يستسلم أم يتحرك للأمام ولا يسبق الأحداث ثم وقف فجأة واستعاذ بالله من الشيطان، وتحرك حتى وصل إلي شجرة، انبسطت أساريره، حتمًا هناك ماء قريب من هنا وإلا لما نبتت الشجرة) استيقظ حسام مذعورًا إنه نفس الحلم يراوده يبدأ بصحراء قاحلة وينتهي بشجرة، التقط كوبًا من الماء وأخذ يردد بعض الآيات ثم تنهد بقوة وأضاء مصباح الغرفة .

وتحرك إلي مكتبه، جلس علي كرسيه وهو شارد ثم أمسك ورقة بيضاء وسجل تفاصيل حلمه، لا شيء جديد، نفس الحلم الذي يحلمه يوميًا يتكرر بنفس التفاصيل وكأنه يتحرك في دائرة محكمة لا مخرج منها، أعد فنجانًا من القهوة، ثم رشف رشفة وأشعل سيجارة تلو الأخرى، لا يكمل سيجارة حتى أخرها، يلتقط بضع أنفاس بهستريا وتوتر ناشيء من تزاحم الأفكار والخوف في عقله، لم يرِ حلمه لأحد خوفًا من أن تكون نهايته مؤلمة، يؤمن أن الأحلام تتحقق عندما يعلمها الآخرون، سيطرت الهواجس على عقله دخل في حروب مع نفسه لإخراجها من أعماقه الملتهبة بالخوف اليوم هو الذكرى الثانية لرحيل والده عن عالمه، كان فلاحًا بسيطًا يمتلك خمسة أفدنة

زراعية على طريق دولي برشيد، فلاحًا من الزمن الجميل ..الأرض تمثل إليه العرض والشرف والكرامة، معاني جميلة زرعتها بداخله الطبيعة التي احتضنها واحتضنه، يصلي الفجر في جماعة ويسارع إلي حقله يمهد الأرض ينتقي الحشائش الضارة يتابع زرعه لحظة بلحظة حتى يجني الثمار، يدخر جزءًا لمنزله عند بيع المحصول ويوجه الباقي للإدخار حتي يجمع مبلغًا كبيرًا يسارع بشراء قطعة أرض زراعية أخرى. لاسيما لو كانت بجوار أرضه، ورث عن أبيه فدانًا واحدًا. وكل وتعب واجتهد حتى اشترى الباقي، كانت حياته صعبة مليئة بالجفاف، زوجته غير راضية، ابنه حسام يتشاجر معه يوميًا لبيع الأرض، الكثير من الأراضي المجاورة ابتاعها رجال أعمال بثمن كبير وحولوها إلي أبراج سكنية مخيفة.

لماذا لا يبيع أرضه المميزة والتي تقع علي مقربة من حقل غاز ضخم، السماسرة ينهالون عليه، السعر يرتفع، الإغراءات تتزايد، لكن والد حسام لم يتحرك، يشعر أن الأرض هي أمه التي أنجبته وغذته ورسمت ماضيه وحاضره. أنفاسه تختنق خارجها. الكآبة تسيطر عليه. حسام في كلية التجارة الفرقة الرابعة، شاب مرفه لا يحب الفلاحه، يريد أن يستقر ويتزوج في الإسكندرية، أن يتحول لرجل أعمال، والأرض لا تعني له إلا شيئًا واحدًا هو العار، يخفي حقيقة أن والده فلاح عن زملائه، يغدق في الإنفاق عليهم ببذخ، يقضي معهم الليالي في التنزه والسينمات، عندما يسأله أحد عن أسرته يجيب :والدي تاجر عقارات ويسكن في رشيد .

أصر زملائه علي زيارته في منزله، منزله متواضع وقديم بجواره ترعة تتصارع

فيها الفئران، لم يهتم عبده بمنزله، أرضه هي سكنه وعمله وحياته، لا يتسع المنزل لحسام مع والده. لذا كان حسام يفر دومًا إلى الإسكندرية ويعتذر لأصدقائه عن استضافتهم في منزله في الأجازات بحجة واحدة، أن والده في سفرية بزنس، أما الوالد فهو الآخر كان يهرب من جفاء وحدة ابنه الوحيد ووقوف زوجته دائمًا مع ابنه إلى أرضه الوفية.
التي لا تجادله، لا تحاربه، لا تشتري غضبه، يجد فيها الصفاء الممزوج براحة البال، السكينة التي يفقدها في منزله، ينام بسعادة بالغة ويحلم أحلامًا وردية تحت شجرة التوت التي تقع علي حافة الحقل وتمر علي جانبها ترعة ضيقة، ينام عبده ويتطلع إلي أغصان الشجرة، ثمار التوت على وشك النضج، شهر يوليو قادم، هذا الشهر يمثل إليه الكثير لأنه يأتي كل عام ومعه كارثة.
ففي العام السابق احترقت أرضه، وفي العام الذي يسبقه أصيبت زوجته بمرض القلب، ولكنه لم يعبأ، فقط استراح قليلاً بعد عناء العمل .

أتى شهر يوليو كعادته، ما زال عبده جالسًا تحت الشجرة العصافير تتصارع للوقوف علي الأغصان، حمار عبده المربوط في جذع الشجرة عن بعد يتحرك حركة غريبة.
النسيم يهب بغزارة، عبده يضحك، السماء صافية، شيئًا ما سعيدًا يخبئه القدر، عبده يضحك حتى توقف فجأة وظل يصرخ ويصرخ، تجمع جيرانه الفلاحون ونقلوه إلي منزله وجاءوا بالطبيب الذي فحصه وخرج إليهم حزينًا وقال:
- بضع لحظات ويموت جهزوا قبره ..لا أمل

صرخت زوجه عبده أما حسام فهب للداخل ليطمئن على والده وأخذ يقبل يده والدموع تنهمر من عينيه علي وجه والده الشاحب. قال عبده في صوت متقطع :
لا تبع الأرض يا حسام، عمرها وازرعها واعتنِ بها .. هي أسرتك من بعدي ...تلك هي وصيتي .

مات الأب وصرخ حسام، تلك الصرخة التي يتكرر صداها في أعماقه، إنه يسمعها الآن وهو جالس في تلك الغرفة الجديدة في شقته الفاخرة بسموحة، أمه ماتت بعد وفاة زوجها بأسبوع؛ لم يتحمل قلبها المريض الفراق، وأصبح حسام وحيدًا كما هو الآن الأفكار مازالت تتزاحم، الساعة الآن السادسة صباحًا، نور الصباح يعانق نوافذ الشقة لابد أن يذهب إلى شركته ..نعم شركته التي تعمل في شراء وبيع الأسهم، أنشأها حصيلة بيع أربعة فدادين من أرض والده لم يعبأ بوصية والده، هرب منها خوفًا على مستقبله، لا يجيد الفلاحة، لا يحب تلك المهنة الصعبة، فقط هو محاسب ورجل أعمال، لم يبع الأرض كلها. احتفظ بفدان تقع شجرة التوت على ناصيته، لعلك تسأل لماذا ؟ لأن ذلك الفدان يقع مباشرة على الطريق الدولي وينوى إقامة مصنع عليه في المستقبل .
الآن حسام في شركته، جميع العاملين معه من الجنس اللطيف، لا يحب أن يعمل معه الرجال، يؤمن أن النساء فأل حسن، مجتهدات، لا يغترون يرضين بالقليل، لن يشاركنه في مكسبه، الأرباح تتزايد، الأفكار تتزاحم في عقل حسام، السعادة التي ينشدها دومًا هاربة، الحلم يتكرر يوميًا، الفدان

المتبقي من تركة الوالد يبور وتغزوه الحشائش الضارة والحشرات، شجرة التوت تحتضر والأيام تمر، الدائرة تزداد اختناقًا وهو في بؤرتها تسيطر عليه الكوابيس حتى أتى ذلك اليوم من شهر يوليو ٢٠١٢، تأجيل إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة، الأسهم تتهاوى .. البورصة تنزف، يغتر حسام ويشتري جميع الأسهم الخاسرة ظنًا منه أن البورصة ستعيد الارتفاع، يجب أن يتحلى بالشجاعة ..عمله محاط بالمغامرة، مرت الأيام، ومازالت الأسهم تتهاوى حتى سقط، نعم سقط..خسر كل ما لديه، الأسهم التي ابتاعها كانت لشركات خاسرة مملوكة لأحد رجال الأعمال الفاسدين، كانت شركاته تعمل في غسيل الأموال عبر الحدود، حتى حكم عليه بالسجن المشدد وأعلنت الحراسة على أمواله ..

إنها النهاية، لقد خسر مجهود سنوات عمره، عاد لنقطة الصفر، أعلنت شركته إفلاسها وتم تسريح جميع العاملين، الفأل الحسن تحول لسواد قاتم هذه هى الضريبة، ولكنها باهظة وحادة، تسببت في انهياره ومرضه ورقوده علي الفراش .

الساعة الواحدة صباحًا، مازال وحيدًا في تلك الغرفة الكئيبة في شقته آخر ما تبقى له، مازالت الأفكار تتزاحم على عقله، الدموع جامدة في عينيه، أعصابه مشددة عن آخرها، عيناه تريدان الهرب من تلك اللحظات الصارمة إلى الغرق في سبات من النوم الهادئ، ولكن هيهات هيهات، لقد نام بعد محاولات مضنية والتهام العديد من المهدئات وغرق في النوم وحلم بنفس الكابوس، التفاصيل تزداد وضوحًا، الشجرة تطرح توتًا نعم... إنها الشجرة التي يحتضنها حقله الباقي ...كيف لم يفهم الرسالة ؟ إنها

إشارة من السماء، تخلى عن وصية والده فتخلت عنه السماء، هرب من العار والهواجس التي إصطنعها عقله إلى صحراءقاحلة مليئة بالأكاذيب، تخلى عن الماضي وبحث عن السراب، الآن الماضي ينتقم منه، هوى من فوق الحصون الهشة إلى الحقيقة التي دومًا ما كان يهرب منها. إنه فلاح ..ابن فلاح... عالمه الأرض والتعب وليست التجارة عمله.

صرخ صرخات متتالية إعتنقت بالصرخة الخالدة في أعماقه منذ رحيل والده ظل يردد

- آه ثم آه يا أبتاه سامحني علي كل ما فعلته وادعو الله أن يقف بجواري

جاءه والده في المنام مبتسمًا بعودته وقال له :عمرها وازرعها واعتنِ بها إنها أسرتك من بعدي.

إستيقظ من منامه، وملامحه جامدة، توضأ ثم صلى ركعتين ودعا الله أن يغفر له، وذهب إلى حقله كانت الساعة الثالثة صباحًا، الشبورة تحول دون الرؤية، نام تحت الشجرة التي مازالت تحتضر، نام وغرق في هدوء، وحلم أحلامًا وردية، أيقظته حرار الشمس اللاسعة.. وقف سعيدًا لا يعرف من أين أتته السعادة، ملأ جرادل من المياة، وروى الشجرة، ثم تطلع بناظره صوب حقله الباقي الذي بار.

وظل يحدث نفسه

يا لقسوة قلبك يا حسام، ناكر للجميل، هذه الأرض التي ربتك وأغدقت عليك حتى أصبحت رجلاً، الأرض التي تخليت عنها حتى بارت، خنت الأمانة فخانتك الحياة. أمسك فأسًا وتحرك لمنتصف حقله وعاهد نفسه أن يبدأ في استصلاحها وزراعتها . ولتكن تلك البداية التي انتهى عندها حلمه .

طريق القمة

طريق القمة يبدأ بخطوة، هكذا يؤمن دائمًا، لن يصل إلى حلمه إلا بعد عثرات وعثرات ومعارك على تلال الهزيمة وأودية النصر، ولكن يبدو أن المعارك زادت عن حدها، ونفذت جميع ذخائره وعدته، قطار العمر ينطلق به بلا هوادة، الفقر يحاصره ويكبل أحلامه بسلاسل الواقع. جميع أصدقائه ودفعته تزوجوا وأنجبوا أطفالاً والبعض من أصدقائه له ذرية في سن الشباب، الكثير منهم عبر إلى جنة المال والبعض أصبح من المشاهير أما هو فما زال في أرض المعركة، الزمن يحاصره من جانب، الفقر يستعد لهتكه، المرض ينبش في عظامه، اليأس شاهر كل أسلحته صوبه، عمره تجاوز الأربعين، أسرته المكونة من أبيه وأمه وأخته شيماء يئسوا منه وتركوه بلا رجعة، شيماء تزوجت وسافرت مع زوجها إلى السعودية . أبوه وأمه تركا له المنزل وقام بإيجار شقة في بولاق .هو مازال هنا في معمله في الدور الثاني من منزل أبيه. تخرج في كليه الطب وتخصص في علم الفيرولوجيا (علم الفيروسات) أنهى الماجستير بدرجة إمتياز ثم الدكتوراة وكانت رسالته (البحث عن دواء لمرض نقص المناعة المكتسب والمشهور بـ الإيدز) انهالت عليه العروض والمنح في الجامعات الأوروبية رفضها، انتظر لتساعده بلده مصر... نعم يحبها لدرجة الجنون، مصاب ب"homesick-ness" نشأ وترعرع على ترابها وحفلت طفولته بالذكريات القاتمة أكثر منها مشرقة، تعلم في مدارسها، هي وطنه وبيته وأمه ..مجنون بها لدرجة أنه ندر عندما يتزوج إن شاء الله بعد وصوله طبعًا إلى العقار المضاد للفيرس سيسمي أول مولود له ((مصري)) بغض النظر عن جنسه .

نابغة وعلامة هكذا يعتقد بنفسه، انطوى وانعزل في معمله الخاص الملئ

بالأجهزة الطبية وأدوات الاختبار ومجموعة من القرود الصغيرة والفئران يستخدمها حقل تجارب .

لا بأس فأديسون فشل ٩٩٩ مرة حتى وصل إلى حلمه واخترع المصباح الكهربائي عبارة دائمًا يرددها عند فشل تجاربه التي وصلت لمائتي تجربة القرود كفرت به، صرخاتها تهز جدران المعمل، الفئران قتلت نفسها عمدًا للهروب من تجاربه.

لا بأس سيحضر المزيد، راتبه لا يتعدى ألف جنيه شهريًا، يعمل في مركز بحوث نهارًا ويعود إلى معمله حتى تأتي الساعة العاشرة ليلاً يتنكر ويخرج متلصصًا، يعود بغنائم كثيرة ونقود يشتري بها أدوات إختبار، نعم لجأ للسرقة للإنفاق على أبحاثه، أجل زواجه حتى يصل إلى حلمه.. محبوبته بثينه كفرت بحبه لها وتركته وتزوجت من جراح مشهور، الآن تعيش معه في لوكسمبرج أما هو ما زال في مصر أرض الكنانة.

يدخن بغزارة المطر، يتابع ساعة الحائط دقيقة بدقيقة، شعر رأسه سقط من إهماله، لحيته طالت لدرجة مخيفة، جيرانه يتهكمون عليه ويسخرون منه، نظراتهم وهمساتهم أسهم تقطع في جسده، وجهه امتلأ بالتجاعيد، انقطع أصدقائه عن الاتصال به وانقطع هو عن العالم حتى فصلت شركة المحمول الخدمة عن هاتفه .

لم يستمع لنصائح أساتذته في الجامعة أن الأمراض الفيروسية ليس لها علاج وضع سبورة بيضاء أمامه في معمله وكتب عليها .. (ما خلق الله من داء إلا وجعل له دواء) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تلك العبارة التي تعيد

شحن وقود حماسه عندما يفشل، يجلس أمام السبورة ويتطلع إلى تلك العبارة ثم يلتقط أنفاسه ويردد... لست لصًا أنت عالم وسترد تلك النقود التي سرقتها عندما تصل إلى حلمك وتتهاتف عليك الدنيا .. نعم .. سجل كل ضحية من ضحاياه في كتيب كبير دون فيه اسم الضحية وعنوانه والمبلغ المسروق وأيضًا أسماء الورثة في حالة وفاة أحد الضحايا. لا بأس عليك أن تستعيد همتك ولا تضيع الوقت. التقط أنفاسه ثم زفر الكسل من داخله. وتحرك صوب السبورة، ودون عليها بعض المعادلات العلمية والحسابات المعقدة، ثم توجه إلي قفص الفئران،والتقط فأرًا كبيرًا وحقنه بالعقارين الذين طورهما بالأمس ثم وضعه في حجازة أخرى، ثم حقن أحد القرود بنفس المحلول، لابد أن يجري التجربة علي عشرة قرود تختلف فيها قياسات جهاز المناعة والأجسام المضادة..

نفدت نقوده، يجب أن يشتري قرود أخرى من بواب العمارة المجاورة لمنزله والذي يبتذه ..لم يخبر أحدًا أن تجاربه عن الإيدز حتى لا تعلم الشرطة، المنطقة مليئة بالسكان الذين ينفرون منه، مجتمع مشوه لا يعرفون قيمة العلماء. (لو كنت راقصة لتسابق الناس على تقبيل قدمي).. قالها في صمت محدثًا أحد القرود التي تتحرك بهستريا، أحاط جدران معمله بطبقة من مادة كاتمة للأصوات، حتى لا تخرج الأصوات إلى الخارج، شئ ما ينبش في عظامه، قدماه تورمتا. الألم يكبل عموده الفقري، يبدو أنه مصاب بالروماتيزم. أخذ كبسولة من مسكن اعتاد عليها يوميًا، ثم ارتدى ملابس المهمة، وخرج من منزله إلى حي المعادي .

الضحية الجديدة إمراءة عجوز ثرية تعيش وحيدة في شارع ٩ بدجلة فى

المعادى ، شقتها في الطابق الثاني، ليس معها خادمة، لا تثق في الآخرين، ولداها في الكويت واستقرا هناك، تخرج يوميًا الساعة العاشرة مساءًا لتتمشى وتتسوق في حي المعادي الهادئ، ثم تعود في الثانية عشر، الآن هو مختبئ أمام العمارة يرتدي نفس ملابس البواب وقناعًا على وجهه بنفس وجه البواب، والبواب غارق في النوم كعادته، السيدة تمر على البواب وهو لا يرد ، السيدة تصعد الدرج لا تحب المصعد، يتحرك أيمن مسرعًا خلفها، السيدة تتعجب، البواب لا يسارع بمساعدتها يعلم أنها لا تدفع لذا لا يعرها اهتمامًا، راحة باله ونعاسه بعد عناء اليوم أهم وأفضل من خدمتها المجانية، أيمن يبتسم لها ويتناول حقائبها ويقول لقد تعبت يا خالة سأساعدك بدون نقود

السيدة تبتسم، وتهدأ شكوكها، لن تخسر سنتًا، تفتح باب الشقة، وتدلف إلى داخلها ويتبعها أيمن الذي يضع الحقائب ثم يخرج سكينًا، السيدة تفزع وتصاب بالهلع ويجري صوبها، ويكمها وهو في داخله يتمزق، يحدثها بصوت هادئ بحنان :

- لا تصرخي لحظات وسأغادر أين الذهب، لن أؤذيك

السيدة ترتعش، قلبها ينتفض بقوة، الدموع تخفي عينيها، أيمن يقاوم ضعفه ويتوسل إليها (أنا لست لصًا في القريب ستعرفين قدري وسيتحدث العالم عني ..أين الذهب وسأعيده لك عندما أصل إلى القمة)، يرفع سلاحه في وجهها ويهددها، لا تنفع لغة المودة. السيدة تنهار وتشير للمكتب، يقاوم أيمن جذور الحنان بداخله التي مازالت باقية رغم رياح الفقر وقطار الزمن يتوجه بسرعة البرق، يصل إلي الذهب، يعود للصالة، السيدة ماتت بسكتة

قلبية، يرفعها بين يديه، يفحص نبضها، يترجاها، يقبل يدها لا ترد، ضاعت كلماتها في وحل بلطجته، إنهار قلبها علي تل جفاء قلبه، لقد قتلها إنها أحد فئران تجاربه، الدموع تنهمر من عينيه وجد الذهب وأضاع فرصتها الذهبية في الحياة .

(لا وقت للدموع) رددها في نفسه والتقط الذهب وفر هاربًا، ظل قابعًا في معمله لمدة أسبوع، يهاجمه ضميره المقيد بقمته المنشودة سكاكين الندم تنهال على أعماقه، القتل لم يكن في حساباته، فقط هو لص شريف حتى يفرجها الله، يتابع التلفاز ليعرف مجرى التحقيقات، البواب هو كبش الفداء وتم القبض عليه، إنسان برئ سيعدم عما قريب، سيصبح ثاني شخص قتله ماذا يفعل ؟ ..توجه إلى النيابة واعترف بالتفاصيل، تم إيداعه في السجن ثم توجيهه إلى المحكمة .

في قاعة المحكمة كان خلف القضبان يائسًا حاقدًا مستسلمًا للهزيمة. ترافعت النيابة وطالبت بإعدامه دون رحمة ..هلل الجميع ..صفق الحضور ..كثير منهم ضحايا له .. هنا صرخ عاليًا:

- لم أفعل لأني لص ..فعلتها لأنفق على أبحاثي وأجد علاجًا لهذا المرض اللعين وهذا الكتيب بيدي خير دليل على صدق نواياي، لم أقتلها ..هي ماتت .

صاح كل من في القاعة، إستمع القاضي للشهود، إنصرف القضاة للمداولة جلس على كرسيه يتلاشى نظرات الناس. بعضهم يريد هتكه ..البعض يريد حرقه..القليل يتعاطف معه، خرج القاضي ونطق منطوق الحكم بإعدامه،

تلقى الصدمة بجمود ناشئ عن تكبيل أعصابه، تحطمت آماله على تلال الواقع، وضعت الحراب أوزارها، وفشل وحكم عليه بالإعدام .
ظل يصرخ ويصرخ ..لا أحد يلتفت إليه. اقتاده رجال الشرطة إلى عربة الترحيلات، لجأ إلى حيلة ما و هرب بعيدًا ..الآن نهايته ..ظل يجري ويجري في طريق ترابي حتى سقط منهكًا على التراب، لن يستطيع الوقوف مرة أخرى، أتعبه المرض وأنهكه الجري، الطريق إلي القمة مليء بالخنادق الوعرة ..وهذا أخر خندق ..لن يستطيع العبور، لماذا لم يستمع لنصائح الجميع، قطار عمره تحطم، محبوبته هربت، حلمه هو الآخر كفر به ..يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة، حتمًا هو يحتضر، ولكن قبل أن يلفظ أنفاسه، وجد نملتان أمامه تتصارعان حول حلقة من المكرونة كل يجذبها من جانبه حتى انفتحت الحلقة، ظل يفكر فى الأمر ولاحت له فكرة كان يبحث عنها. إنها إشارة من السماء هذه الحلقة تشبه جدار الفيرس وإذا تمكن من محاصرته من الجانبين بالمادتين اللتين توصل إليهما حتمًا ستتدمر خلية الفيرس ويموت .

أنفاسه تختنق، لم يعد هناك فرصة لأبحاث أخرى، ظل يصرخ ويصرخ حتى ألهمه الله بورقة وقلم كانا ملقيان بالقرب منه ..دون ما رآه وكتب وصيته .
تم العثور علي جثته والورقة، استعان بها أحد الباحثين الشباب، ذهب إلى معمله، اطلع على كتبه وأبحاثه، كان هو الآخر شغوفًا بهذا المرض لأنه مصاب به ونهايته تقترب، اتخذ المعمل منزله وقرر أن يكمل مسيرة سلفه أيمن ..حتى وصل إلي القمة ..نعم استطاع أن يصل إلى عقار لهذا المرض

وذاع صيته، وتم تكريمه عالميًا .
وقف العالم منتشيًا في أحد الاحتفالات وقال :
- الفضل ليس لي إنما للدكتور أيمن سليمان، هنا ابتسم أيمن وظل يضحك ويضحك، لقد وصل للقمة والعالم كله يتحدث عنه...الآن أصبح أسطورة يتحاكي بها البشر، مع أنه لم يسعد يومًا واحدًا في حياته، ولكن هذا مصير العلماء .

ستانلي

صامتة هي دائمًا، تسير ببطء ناحية كوبري ستانلي وهى شاردة، ورغم ذالك تستمع بالسير ويهفو قلبها للقاء حبيبها (أحمد)، تريد أن يتوقف الزمن، لا تجري الأيام لا تمر الشهور أملا في اللقاء المنشود حتمًا سيعود إليها لم تشك لحظة في هذا، الحياة بعده فقدت مزاقها، الإسكندرية بدونه لم تعد المدينة التي تعرفها ، حتى كوبري ستانلي فقد روحه ورائحته المميزة، بات كعش مهجور، سيطرت الكآبة والصمت عليه.

الناس يتطلعون إليها بدهشة ممزوجة بالسخرية، بعضهم يرثي لحالها، كل الشبان يعاكسونها، يريدون جرها إلي بئر المتعة يحسبونها عاهرة، وحيدة، مجنونة، لا أحد سيفتش ورائهم يوميًا. نفس الشلة من الشباب يحاولون التحرش بها، التطفل عليها، ذئاب يلتفون حولها، لو كان أحمد معها لما استطاع كلب أن يلهث خلفها أو يعكر صفو مزاجها، الآن باتت وحيدة بعد رحيله. المسافة بين منزلها القابع في العصافرة قبلي بجوار المعهد الديني وكوبري ستانلي تتعدى عشرة كيلو مترات، السير يتعبها لأنها مصابه بالربو، ولكن يجب أن تضحي، ضحى هو كثيراً من أجلها، ذات يوم أصيبت فى حادثة، وفقدت الكثير من الدماء واستغاث الأطباء من أجل أن يجدوا متبرع واحد للدم من أجل إنقاذها، لم تكن أسرتها على علم بالحادثة، وكان أحمد يعود أحد أقاربه المرضى فى نفس المشفى، هلع أحمد وتبرع من أجلها إشفاقا عليها، كانت هذه هى بداية علاقتهما، تستدعي ما فات من ذكريات، تهتز أوصالها من أصاله وعراقة ماجرى فى الماضي والغموض المخيم على الحاضر والمستقبل، ألم يحن الوقت لترد الجميل، تخرج يوميًا بعد أذان المغرب صوب الكوبري ترتدي أجمل الثياب، تصفف شعرها، تضع تذاكر

السينما في حقيبتها، وأيضًا تعد سندوتشات من الجبنة المقلية التي يحبها (أحمد) وتلفهما فى ورق وتضعهما فى حقيبتها، كان يستمتع بالتهامهم أمامها، ثم يقبل يدها وتأمره بدلع أن يعزف أنشودته على العود أمامها .
كان عازفًا محترفًا أصابعه تنتقل بسلاسة على الأوتار، أنغامه الحزينة يهفو قلبها لها وتهتز أوصالها، تشعر أن البحر يناجيها، الطيور تحيط بها، الرياح تحملها فتهب لتقف على سور كوبري ستانلي، وترفع يدها إلى السماء لتهطل الأمطار عليها وتحتويها .

تشعر أنها في الجنة، السعادة تجتاحها، الكوبري يهتز فرحًا تحت أقدامها، أمواج البحر تتشابك وترتفع لتلهو معها، وأحمد يعزف على العود ويتطلع إليها في ابتسامة واستغراب ثم يقول:
- مجنونة عشقت سماع تلك الكلمة منه، مرارًا وتكرارًا يكررها ولا تغضب فهي مجنونة به، لم تعرف الحب إلا على يده، كانت تخاف من الآخرين منعزلة في حالها، رباها والدها على ذلك، والدها يعمل مدرس ثانوي، رجل متحفظ على قدر من الرضا على حاله، لا يمتلك سوى شقة واحدة تعيش بها أسرته المكونة من زوجته، وعلي طالب في أول إبتدائي ،سامية طالبة في الثانوية العامة، وأخيراً كوثر المجنونة طالبة في الحقوق، راتبه قليل، ولكن دخله الإضافي من الدروس الخصوصية وفر لأسرته عيشة كريمة، كوثر هي الأكبر بين أخواتها والأهم جاءت بعد ثلاثة سنوات من عقم والداتها، أنفق والدها الكثير من المال على الفحوصات الطبية، أطباء الإسكندرية كلهم ذهب إليهم، حتى أكرمه الله بأول العنقود ضمها إلى ذراعيه وهي في المهد،

وظل يبكي فرحًا حتى نفذت دموعه، خاف عليها من الضياع. أحاطها بحنانه، غمرها بسعادته، لم يبخل عليها بشيء منذ نعومة أظافرها، وفر لها كل ما تحتاجه ولا تحتاجه، إلا شيئًا واحدًا حرمها منه.. الحرية. فرض عليها أوامر صارمة أحاطها بسورشامخ من تعنته خوفًا من ضياعها، لا تخرج إلا بإذن، لا تذهب للمدرسة وحدها، لا تكلم شبان، لا تستمع لأغاني ولا أفلام فقط الأخبار والقنوات الدينية .

لم يكن كل هذا من أجل أن تتدين ..لا ..فقط من أجل أن تظل كوثر الطفلة البريئة التي حملها في أحضانه وكانت أول فرحته، خاف عليها أن تضيع وتنحرف عن دائرته، لم يفكر يومًا أنها ستتزوج أطاح بتلك الفكرة من عقله، ستظل دومًا تغمره بحنانها وابتسامتها الدافئة وتقول حاضر هذه هي السعادة التي ينشدها، مرت الأيام وهى كما هى، يوميًا تخرج فى نفس الميعاد إلى ذات المكان، تقف على كوبرى ستانلى وتناجى البحر، تخاطب الأمواج المتلاطمة، وتتوسل اليها أن تخفف من غضبها، أن تكن أمنًا وسلامًا على حبيبها أحمد، أن تهدئ من غضبها وتعود به سالمًا غانمًا، تركها منذ سنتين مهاجرًا إلى ايطاليا على أحد المراكب المشهورة بالهجرة الغير شرعية عارضته بقوة، صرخت من أجل أن يبقى بجوارها، لا تريد شئ سوى أن يتزوجها ولو كان عش الزوجية عشة على أسطح عمارة باليه، أخبرته أنها ستقاوم تعنت والدها وستضغط عليه حتى يرضى بما ترضى، إنه يحبها لأنها الإبنة الاولى، ستلعب على الوتر الحساس وتستغل جميع مراكز القوى والضعف فى النفس البشرية والكلام بخصوص والدها وستنجح حتمًا فى

الوصول إلى هدفها.
أحمد كان يعترض، صرخ ذات مرة فى وجهها قائلاً:
- (كل ولاد عمتى سافروا إيطاليا، عادوا بعد سنه واحدة، بنوا فيلات واشتروا قطع أرض، لست أقل منهما، سأسافر وأعود)، ثم اقترب منها وجذبها إليه بيده ووضع يده على خديها ومسح دمعة كانت حائرة فى أعينها ليست حيرة من النزول على خدها مستعطفة حبيبها أن لا يغادر، كانت حيرة من أنت تعود إلى مقلتيها مستسلمة لسفره إلى الخارج ومؤمنة بعودته بكنوز سليمان وخوفًا من أن لا يعود، أو تغيره الكنوزفيلقى بحبه لها فى سله المحذوفات، ظل أحمد يتطلع إليها بحنان ثم طبع قبله على جبينها وقال:
- لا تقلقي سأعود وأتزوجك واشترى لك قصرًا مليئًا بالخدم.
استجابت له وهي غير راضية عن ما رضي عنه واختاره، لكنها إستسلمت لإرادته وكلها ثقة أنه سيعود إليها، تؤمن أنه يحبها إيمانًا راسخًا قويًا، وأنه سيعود ولعل وعسى.

سافر أحمد وودعته، فى اليوم التالى، كانت على موعد مع عاصفة استباحت كل شئ داخلها، لجمت لسانها، حتى أضحت صامتة؛ لقد أذاعت نشرات الأخبار غرق أحد زوارق الهجرة غير الشرعية في مياه البحر وموت جميع من فيه، عند ذهابها إلى حرس الحدود تأكدت أنه نفس الزورق الذي هاجر فيه أحمد، ولكن جثته لم يعثر عليها أحد، صرخت حتى نفدت الصراخات، صاحت صيحات رفض متضاربة، اهتزت لها الأمواج، ثم انزوت في أحد الاركان غير مصدقة، أخبرها أنه سيعود حتمًا، لن يتخلى

عنها، لن يتركها .
حدثت نفسها : سيعود يا كوثر لا تغضبى.
قالتها مرارًا وتكرارًا، اقترب كل من حولها لمواستها، رفضتهم، وتهكمت، وهى تصرخ، وتشيح بيدها : - إنه سيعود لم يمت، لست مجنونة
أطاحت بكل الهواجس والشكوك من داخلها، أعلنت نفسها المريضة بعشقه عن رفضها فكرة رحيل المعشوق، ومرت الأيام وهى كما هى وهو لم يعود، لا حس ولا خبر، أصبحت وحيدة مكفهرة الوجه يائسة من كل شئ حتى توقفت على الكوبرى، نظرت إلى البحر والدموع تحتضر فى مقلتيها وهمهمت: -لماذا لم يعد حتى الأن، يجب أن أذهب أنا إليه ولعل وعسى..
ولم تفكر وألقت نفسها فى البحر، تجمع الناس، وتعالت الصرخات، اهتز كوبرى ستانلى هزة خفيفة وكأنه يودعها إلى مثواها الأخير، فى الجانب الأخر كان أحمد جالسًا مع زوجته الإيطالية على سلطنة ستانلى وهو يقول:
-هذا الكوبرى له معى الكثير والكثير من الذكريات .

المتمردة

" فرسة " . . . هكذا يسميها كهول حارتنا، "طلقة" لقبها على ألسنة شباب الحارة أما الأطفال والصبية فيعروفها بـ "مزة " متمردة إلى أبعد ما تتخيل، لا يستطيع أحد تلجيمها، تهرول بين الحين والآخر في شوارع وأزقة حارتنا متبخترة بثيابها الضيقة والبراقة وشعرها الكحلي الفضفاض ملامسًا أعلى خصرها، تتهاتف عليها الأنظار وتحتضر الكلمات على لسان من يراها، ليست عاهرة بيد أنها ليست مؤدبة، الوصف الدقيق لها متحررة ، ولكن حريتها لا حدود لها؛ فهي لا تعترف بسور أرض السباق .
تنطلق بسرعة لافتة للنظر فتسبق من يجاريها، ولكنها لا تصل لنقطة النهاية فتعاود السباق في أرض المنافسة دون كل أو تعب .
منزلها القابع أول الشارع الرئيسي في حارتنا ينتمي إلى الماضي العتيق، مبني علي طراز المماليك نوافذه الخشبية مطرزه بماء الذهب، تشعر عندما تراه لأول وهله أن آله الزمن قد سرقت قلبك وخيالك في عبق التاريخ، أبيها كان مدربًا للخيول العربية، أمها كانت تعمل في السيرك والموالد، أختها الصغرى فاتن طالبة في المعهد العالي للفنون المسرحية .

أما هي فلم يسعفها مجموعها فى الثانوية العامة من اللحاق سوى بكلية الأداب قسم جغرافيا، لا تحب التلقين والحفظ، تجادل فى كل شئ ولا تصدق شئ لا تفهمه، تعشق الازياء، تعمل في أحد مصانع فساتين الزفاف كمصممة ملابس. رباها والدها قبل وفاته على ركوب الخيل، على الإنطلاق بسرعة نحو الحلم ثم العودة إلى نقطة البداية دون الإلتفاف يمينًا أو يسارًا،عشقت هي الرياح عندما تتصادم مع وجهها وتنتصر عليها. بيد أن

شعرها الخلاب يستسلم لإحتواءالرياح له، لا تتطلع صوب أرضية السباق فقط أمامها دائمًا، ولكن أحيانًا تختلس نظرة للسماء ثم القمر وتناجيه أن يرسل لها سفينة تقلها إليه .

تعشقه لدرجة لجنون، لياليها تقضيها في التحليق فيه والأستماع لموسيقي الراب الصاخبة، كانت تتمنى أن تكون وكاله (ناسا) مصرية أو تكون طالبة في إحدى كليات الفضاء، ولكن الواقع في بلدنا قيد أحلامها. مات أبيها وهي في الصف الأول من الثانوية، كانت تحب العلوم والكيمياء، في الصف الثاني نفدت النقود من منزلها، انقطعت عن الدروس الخصوصية لضيق حال والدتها في الصف الثالث ونجحت علي المحك، وكانت الأداب في انتظارها، لم تدخلها عن قناعة، ولكن لأنها تحب سالم .
(سالم) شاب ثري يقطن في الحارة المجاورة لنا، ينحدر من عائلة ثرية، أبوه يعمل في استيراد وتصدير الملابس .سالم شاب أنيق المظهر لا يرتدي إلا ماركات، عيناه عسليتان.. خفيف الظل، صوته جميل، كما أنه طالب في كلية الأداب، قصة حبها مع سالم يحفظها عامة الناس من البداية حتى النهاية حتى كباري وسط القاهرة تروي قصتهم للمارة؛ فعلى جدرانها وأسوارها سترى مذكرات رحلة قلوبهم إلى نهر الهوى .
عشقت روان سالم لأنه نسخة طبق الأصل منها، عقله مهووس بالخيل مثلها، لا يعترف بالقيود، لا يعترف بعادات المجتمع المتوارثة، يرى فيها سلاسل تبعده عن المستقبل الذي لا يعلمه، ولكنه يأمل في الوصول إليه. بيد أنه ليس شاذًا، ولكنه لم يكن شابًا عاديًا، رأته لأول وهله على كوبري

قصر النيل يغني للقمر، المارة معجبون بغرابته ومذعورون من خياله، يقف البعض منهم ليستمع لبضع ثواني ثم ينطلق، أما هي فوقفت حتى أنهى أنشودته، كان يغني :

يا قمر ليه سايبني

وسط بشر ذي الوحوش

نهارك ليلهم وفي ليلك مابيتعبوش

قلوبهم صعب عليهم

عقولهم ذي الحجارة

الخيال فيها خسارة

الكسل زي المنارة

ليها دايماً مابيترددوش

ماتقولش علم ليهم

ماتقولش فن فيهم

حتى الحلم

ماتكرروش

هي جملة واحدة

حتلاقيها في عقولهم

كل واتجوز ونام

هي دي أقصي آمالهم

ماتحاولش تبقي فاهم

أو تناقد كل كلامهم

تبقي ظالم تبقي جاحد

لو لسانك قال لا

قدامهم

يا قمر ليه سايبني

وسط ناس زي الظلال

كل طاقة وهبها ربي ليهم

إستخدموها للدمار

نفذت كل طاقتهم

خلص كل رصيدهم

لجموا كل أحاسيسهم

بقوا زي

إنعاكسات للإنهيار

إتحولوا لمياكل

بشرية غير قابلة

للإستمرار

يا قمر ليه سايبني

وسط ناس فشلوا

إنهم يكونوا

ناس

فشلوا يكونوا خليفة الله

في الأرض

وافقوا علي الأمانة

ومفكروش

النتيجة شوف العالم

محتعرفوش

الخاين بقى سيد

والشر بقي بطل

والأمين بقى فنكوش

والفنان بقي ضال

عن القطيع

اللي ما بيفرقوا

إلا العُشب

يا قمر ليه سايبني

خدني ليك

أبحث عن ذاتي

أكيد حلاقيها عندك

لأنك أهم جزء

في حياتي

ليك حغني دايماً

وقولها بعلو صوتي

متمرد علي الأرض

غريب حاسس بالعزلة

وسط كم من الوشوش

وما إن انتهى سالم حتى صفقت روان له بحرارة وسعادة بالغة، إلتفت سالم حوله ثم تطلع إليها بصمت إنها تصفق له .

كانت هذه البداية، توطدت علاقتهما سريعًا وتطورت إلى درجة العشق. عامها الحب على طريقة الخيال، التمرد على واقع البؤس، دفعها لحلبة السباق وظل يصفق لها مشجعًا، عرفها على والده الذي أعجب بخيالها، وأوكل إليها تصميم ملابس مستوحاة من الخيال، لم تكن تجيد التصميم بعد، ولكن القمر ألهمها بالفكرة فصممت ملابس تليق مع وضع القمر بدرًا وأخرى محاقًا. ولاقت تلك الصيحة الجديدة إعجابًا ورواجًا منقطع النظير في أسواق فرنسا، ربحت شركات والد سالم الكثير من المال والشهرة، وذاع صيت شركاته عالميًا، وأوكل لها مهمة إدارة الشركة في مصر، وجد عندها ما فقده عند أرملته التي طلقها، ومع مرور الأيام أحبها، إمتلئ قلبه بشعور جامح يروضه لها، ولكن ما العمل فابنه أيضا يحبها وسوف يخطبها ويتزوجها ملكته الحيرة حتى جن عقله وأصيب بالزهايمر .هنا اقتربت نهاية القصة لم يتذكر سواها، دخل عليها ذات مساء في مكتبها فوجد سالم يقبلها، وقف متسمرًا جاحظ العينين، يتنفس بضيق، عيناه تتطلعان إليهما بغل وبهدوء يسبق العاصفة، حتى جاءت فأخرج مسدسه ،وأطلق النيران عليهما .

سقط سالم صريعًا، أما روان فقد أصيبت في ذراعها، ولكنها إستطاعت الهروب، ظلت تجري في الشوارع والدماء تنزف منها لا تتوقف حتى سقطت أمام أحد أقسام الشرطة .

خرجت من المشفى بعد قضاء فترة نقاهة، وعادت إلى حلبة السباق. أما والد سالم فانتهى به الحال إلى مستشفي المجانين .

لم تجد في استقبالها أحد سوى فاتن شقيقتها الصغرى، ما زالت طالبة تحتاج للمال، طموحها مثل أختها، ولكن تمردها قاصر على خشبة المسرح أما في الخارج فهي هادئة على النقيض من أختها.

لم تفقد روان إصرارها على حلمه، بيد أن صدمة فراق سالم تركت جرحًا لا يندمل في أعماقها، وأحاط قلبها بغلاف من الحزن الدائم، ولكنها يجب أن تكمل المسيرة حتى تصل إلى القمر. تعرفت على أحد المستثمرين الأمريكيين وإسمه " تيودور " يمتلك شركة صناعة ملابس كبرى سحرته تصميماتها وأبهره خيالها فأوكل لها تطوير التصميمات في شركته لمدة عامين، ثم بعدها سيساعدها للسفر إلى أمريكا، ودراسة الفضاء وربما الإلتحاق بناسا لعلاقته الوطيدة بعدة علماء فيها.

وما زالت تعمل مع تيودور في عامها الثاني، ما زالت في رحلتها صوب القمر، وشباب حارتنا ما زالوا في رحلتهم اليومية، نوم شاق نهارًا وسهر وحشيش وشيشة على المقاهي ليلاً .

فهل ستصل روان إلى القمر، أم سيأتي القمر إليها؟!! لا أستبعد ..لأنها متمردة، ولكن حقًا فرسة ستملئ سطح القمر بهجة وصياحًا كما ملأت حارتنا .

السقوط

" سقطت من تلال الأمل الوعرة فإنحدرت في منحدرات اليأس والمعصية إلى ما لا نهاية، وصرخت ثم سكنت ثم تأرجحت بين الكفتين للأبد ....."

الخادم

تتطلع إلى سيده الكهل الراقد علي الفراش يحتضر، هاله مشهده وهو يستغيث من طعنات المرض، ثم كبل أحاسيسه بأطماعه وأفكاره الجنونية قال لنفسه : الآن هذا الرجل على بعد خطوات من الموت، وأنا على بعد خطوات من المستقبل.

كان سيده في السبعين من عمره، فقد كل أسرته في العبارة السلام ٩٨ وأصبح غريبًا في الدنيا، أصيب بمرض القلب والسكر معًا حتى ضمرت ساقيه وإنحنى قوامه، وتدهورت صحته، يسكن في حي الزمالك في شقة يزيد سعرها عن خمسة ملايين، خزنته في المكتب الملئ بفطاحل الكتب النادرة بها مجوهرات وأموال كثيرة .

إختلس الخادم نظرة من وجه سيده الشاحب وعيناه المغروتان، وتمنى في أعماقه أن يموت سيده سريعًا، اليوم قبل الأمس، اللحظة قبل الثانية، اليوم هو رأس السنة الجديدة، العمارة خالية عن بكرة أبيها كل السكان خرجوا للاحتفال. لن يرى أحد جريمته، سيهرب ويسعد بغنيمته، طرده والده من الصعيد، جاء إلى القاهرة للعمل نام في الشوارع والميادين، ذاق الذل ويلات وويلات، حتى عطف الكهل عليه، وجعله خادمه ووفر له حجرة صغيرة يسكن فيها، ليس هذا فحسب بل وضع له حساب بنكي بقيمة عشرة ألاف جنية .

لهذا كله شعر الخادم بجميل الرجل عليه، أنقذه من فك الفقر، أحاطه بعنايته .. فلماذا يقتله ؟، ظل ضميره وأطماعه يتشاجران، أطماعه تزداد رويدًا رويدًا. لو أخذ المال لأصبح ثريًا، لعاد إلى قريته مستقلاً أفخر أنواع

السيارات، وتباهى أمام والده الذي طرده من جنته، لبدأ صفحة جديدة وكتب عنوانها بيده .ظلت أطماعه تسدد الطعنات لضميره المريض. وهو شارد العينين حائرً، يتطلع إلى الكهل الذي يحتضر أمامه، ويهذي بكلمات " كل سنة وأنت طيب يا بابا" .

مسكين، فقد أسرته، كانت تلك الليلة من كل عام يومًا سعيدًا على هذا الشقة، أولاد الكهل يحيطون به يقبلوه، يرقصون معه، ثم يباركونه بالعام الجديد، فلذة كبده الذي تعب وكل من أجل أن يفرح بهما .

بات وحيداً الآن. ابتسم الكهل إبتسامة صفراء وهو يبتلع ريقه بصعوبة بالغة ويحدق في سقف الغرفة ثم تمتم :

- الآن سأذهب إليهم

انتظر الخادم حتى يموت الرجل، (لاوقت للرأفة الكهل سيموت حتمًا الآن أو غدًا، ولكن لن أنتظر للغد) هكذا قال إحتضر ضميره وتراقصت أطماعه على أشلاء الرحمة بداخله، لماذا ينتظر؟ العمارة خالية، الكهل ليس له ورثة سأهرب بالأموال إلى شرم الشيخ وأقضي معظم حياتي هناك، سأفتتح كوفي شوب عالمي وأتي بصبية قريتي خدام عندي

إنهالت الأفكار الشيطانية عليه حتى أحضر مسدس سيده وأطلق طلقة في صدر سيده، إرتعد الكهل ثم صرخ ثم مات، نظر الخادم صوبه وهو يتنهد ويهتز ثم هرع إلى المكتب، وفتح الخزينة وجمع الأموال والمصوغات ولفها في قماشة وهرب.

تم القبض عليه في أحد الأكمنة، شك رجال الشرطة في أمره إقتادوه إلى مركز الشرطة وهناك تسمر في مكانه، هربت الكلمات من حلقه، جحظت

عيناه، أصابه الشرود والدهشة
الكهل واقفًا أمامه في شحمه ولحمه، لا دماء عليه، لا يحتضر، صحته جيدة، ماذا حدث ؟
ظلت أعينه تطرح الأسئلة حتى أجابه الكهل قائلا:
ائتمنتك على نفسي، أنقذتك من الشوارع، جعلتك مثل أبنائي وبعد رحيلهم، قررت أن أتبرع لك بثروتي لتبدأ حياتك لهذا اختبرتك، كنت أراقبك، وضعت طلقة مطاطية في المسدس، إرتديت قميصًا واقيًا، ثبت الكاميرات في كل مواضع الشقة، جهزت المصيدة .. وللأسف وقعت فيها للأسف خنتني
إهتز قلب الخادم بقوة وظل يخفق ويخفق، إستيقظ ضميره بعد فوات الآوان إغرورقت عيناه بالدموع، لن يعود مرفوع الرأس إلى قريته، الآن مسجل خطر وعار على المجتمع .
ظل يبكي ويبكي ويترجي الكهل أن يسامحه، ويصفح عنه، ولكن الكهل قال:
- لن أصدق دموع التماسيح .
ثم انصرف

المولد

في كل عام يخرج معها إلى المولد يبتاع الحمص والحلاوة الملونة يعلمها التصويب بالبندقية، يتأرجح معها على الأرجوحة، يستمعان لترانيم وأناشيد المبتهلين، يقضون ليلتهم في مولد إبراهيم الدسوقي في ليله الخميس ثم يعودان إلى منزليهما وأقدامهم متورمة، وينام صرعى

الآن رحلت عن عالمه وخرج إلى المولد وحيدًا، يبحث عنها عند الباعة، عند خيم الصوفية، سار وسط زحام المارة وهو معزول عن العالم، غير مصدق أن المولد هذا العام بدونها، مذاقه يلسع حواسه، بات غريبًا عنه . إنحرفت عن عالمه وأخذت معها أجمل الأشياء، تركته في دائرة مغلقة بزحام البشر ظل يهذي في الطرقات حتى توقف أمام مسجد إبراهيم الدسوقي بكى ثم قال في نفسه (مولد وصاحبه غايب فلماذا قبلت الدولة إقامته دون حضور صاحبه وصاحبته).

ظل يسير شاردًا غير منتبه لكلاكسات السيارات، حتى سقط، دهسه حصان كان يجر عربة خشبية، ظل يهذي وهو يحتضر. إختلس نظرة إلى عيني الحصان الذي دهسه فرأ في مقلتيه زوجته وهي تحمل البندقية، ثم لمح شفاة الحصان تهتز بكلمات لم يسمعها، ولكنه فهمها فعلت أساريره بسمة وضحك بهستريا هز صداها المولد !

السنارة غمزت

جلست علي شاطئ الترعة تغسل أواني منزلها، وتشطف الأصحن شمرت عن ذراعيها، وساقيها الورديتان، جلستُ أنا على الشاطئ الآخر للترعة، رميت سنارتي لأصطاد، أختلس منها نظرة بين الحين والآخر، أتوتر عندما تقع عينها عليّ، أتظاهر باللامبالاة وهي تضحك وتعاود انشغالها في عملها تأتي إلى تلك النقطة البعيدة من الترعة ومن قريتنا أيضًا، احتار نساء قريتنا فيها، فهم يتجمعون في أول الترعة التي تشق قريتنا ليغسلن أوانيهن، أما هي فتأتي إلى هنا، البقعة المفضلة لممارسة هوايتي المحبوبة الصيد، وجهها البرئ وعيناها الساحرتان تجذبان السمك صوبها و تتقدم بلطية حمراء فوج السمك، آه لو كنت سمكة، لكان بإمكاني أن أتطلع إلى سحر أقدامها دون أن أخجل أو أتوتر، تراجعت هي للخلف قليلاً بدت وكأنها تهفو عن نفسها كانت الشمس قد مالت للغروب وانعكست الأضواء الحمراء على سطح الماء، نملة صغيرة تمشي على ساقي الفتاة وهى تتبختر، هزت ساقيها فوقعت النملة فى الماء بجوار قشة صغيرة على سطح الماء، ظلت النملة تقاوم الغرق حتى تشبست بالقشة الصغيرة والذى لا يتعدى طولها ٢سم، هدأت النملة وسكنت تلتقط أنفاسها فرحًا لنجاتها من الغرق، خرقت البلطية الحمراء سطح الماء والتهمت النملة بالقشة، فزعت الفتاة ثم هدأت و حدقت صوبي بقوة، تظاهرت بالكبرياء وأنا في داخلي راغب فى خدمتها، آه لو أجلس بجوارها وأساعدها في غسل الأواني، تكبرني بعامين لا أكثر، ولكن قلبها مثل الخَسَّة، ظلت تحدق والسنارة لا تغمز، حتى تصبب العرق مني واحمر جبيني خجلاً الكابوريا تملأ الماء، ولكنها لا تهاجم أقدامها، ظلت تحدق وتحدق والسنارة لا تغمز آه أيها السمك اللعين هيا أنقذني من تلك الورطة

ضَحِكت فإذا بسطح الماء يهتز والسنارة تغمز، جذبت بقوة العطشان للماء، حتى جحظت عيناي، إنها ورقة .. ذهب السمك صوب أقدامها وأرسل لي برقية تعزية، إحترق قلبي قليلاً وأصبحت متوترًا راغبًا أن تبتلعني الأرض وهي تحدق. أمسكت الورقة فإذا بها (لا تبحث عن السمك هنا، الماء ملئ بالكابوريا، سأنتظرك عند الترعة الكبرى بجوار شجرة الصفاف هناك مزيد من السمك والـ ..)

خفق قلبي بقوة وجف العرق، رفعت رأسها ورمقتني بنظرة ذات مغزى ثم أخذت أوانيها وعادت إلى منزلها ماكرة، أنهت رسالتها ولم تقلها عمدًا ربطت قلبي في معقل سحرها أسقطت جميع الحسابات من عقلي، لم أكن أتوقع أنها تحبني. ضحكت بهستريا السكران منتشيًا بأمل اللقاء المنتظر في الغد ويكفي أن السنارة غمزت، عدت إلى منزلي في المساء يغمرني إحساس فريد بالسعادة، قابلتني والدتي وسألتني كعادتها أين السمك ؟ أجبت كالمعتاد: بعته لأحد التجار

ألقيت جسدي علي السرير وسرحت بخيالي الهائم، ماذا سأفعل معها في الغد، ماذا سأقول ؟ غمزت السنارة وعليّ إتمام المهمة لسحبها ليدي، ليست سهلة كما أتخيل خصوصًا عندما تعرف أنني أغرق في شبر ماء، لساني يتلعثم أمام النساء؛ عزلتني أمي عن بنات قريتنا، رفضت دومًا أن ألهو معهم كانت تخاف عليّ من الحسد
على العموم رحت في سابع نومة. واستيقظت في ظهر اليوم التالي، تناولت

إفطاري من العيش والعسل وكوب الحليب حتى لا تغضب أمي، ثم أعددت أدوات الصيد وانطلقت إلى هناك، تحت شجرة الصفصاف احتميت من حرارة الشمس اللاسعة حينئذ، رميت سنارتي منتظرًا الفرج ،بين الحين والآخر أفحص كل الطرق المؤدية إلى هنا حتى أراها جاءت متبخترة حاملة الأواني على رأسها وتغني يا شمس يا شموسة، حدقت عيني صوبها بقوة، تلاشت هي النظر صوبي وتظاهرت بعدم الاكتراث . تتدلع عليّ حتى أنكشها ..قلتها في نفسي جلست في الناحية الأخرى من الترعة واستظلت بشجرة توت، وهرعت تغسل أوانيها وهي تغني، والعبد لله حائرًا أمامها، كيف سأبدأ الحديث ما هي نقطة الإنطلاق أحتاج لدفعة صغيرة ربما هي ستساعدني.. فعلا ساعدتني .

غنت بصوت عذب وهي ترمي شباكها صوب قلبي ، يا واد مالك ساكت كده ليه إنت اتخرصت ولا أيه ؟
أعطتني الفرصة لأضع أول لبنه في شقة حبنا.
رفعت حاجبيها بمكر ورمتني بسهامها التي سرعان ماكبلت حبال صوتي أصابتني حشرجة صوتية لا أعرف سببها، ولكنها تأتيني عندما أتوتر أو أوضع في موضع محجل .
تاهت الكلمات وإستسلمت أمام نظراتها الهجومية، السنارة لا تغمز الوقت يمر بسرعة البرق، غسلت جميع أوانيها ولم يتبقي سوى حفنه قليلة من الأصحن، يجب أن أتجرأ، بضع لحظات وتنصرف وعندها ستفقد الأمل للأبد وربما ترميني بالحجارة أو بالحلل ، صمتت برهة عن أغانيها وحدقت

في الماء ثم تنهدت، يأست مني حتمًا سنارتي الآن تغمز سمكة كبيرة تجذبها للأسفل، جمعت قواي لسحب السنارة، أما هي فانصرفت وهي في قمة الغضب عادت من حيث جاءت، وسأعود أنا بخفي حنين، أضعت فرصتي الذهبية في التودد لها والعبث معها، وقفت حائرًا ويدي اليمني تجذب السنارة وعقلي وعيني يفكران في الفتاة التي (إتخنقت) جذبت السمكة السنارة للترعة وسقطت من يدي وأنا أحاول جذبها بقوة أطاحت بي للخلف وإرتطمت بجذع الشجرة، لأصاب بآلام مبرحة في ظهري من وقع الصدمة

إخترقت السمكة (البلطية الحمراء) سطح الماء وطارت عاليًاوصاحت

_ إنت غلبان غُلب النملة

اللغز

وقفت أمام فترينة عرض الملابس بالمتجر، حدقت بذهول في أسعار الملابس الحريمي ثم تنهدت متضايقة وعادت من حيث جاءت. تأتي يوميًا في تمام الساعة الثانية ظهرًا تقضي بضع لحظات ثم تنصرف لا أعرف ماذا تعمل ؟! وأين تعمل ؟ ولكن حتمًا عملها قريب من هنا عيناها غائصتان مليئتان بالحزن الكامن، جسمها نحيف، طولها لا يتعدي متر وخمسين سنتيمتر، الحقيبة التي تحملها مليئة بالرقع، عمرها على ما أتصور لا يتعدي خمسة وعشرين ربيعًا، صاحب المحل الذي أعمل به يتضايق عند قدومها أمام المحل، يعرف أنها لا تشتري، فقط تلقي نظرة على الأسعار ثم تنصرف، لذلك يسارع عندما يراها بالخروج ويرسم علي وجهه علامات الحزن والضجر ويقابلها ببرود فتنصرف في هدوء، ولكن العديد من الزبائن يتفرجون على الأسعار ثم ينصرفون دون أن يتاضيق ..

اليوم هو وقفة عيد الفطر، المتجر مزدحم بالزبائن لشراء ملابس العيد، الكثير من الفتيات في سن العشرين أمامي، أتبادل معهن أطراف الحديث، أمزح، أتعارف عليهن، أدون رقم هاتفي على (تيكت) التشرت الذي تبتاعه فتاة جميلة راقية، أما إن كانت قبيحة أكتفي بالمعاملات التجارية فقط صاحب المحل يعرف إنني حرجي درجة أولى، هاتفي المحمول كل أرقامه فتيات وسيدات، لا يحمل أرقام ذكور سوى رقم هاتف والدي، صاحب المحل و عزيز صديقي، لساني زي البربنت، تعاملاتي شيك مع كل العملاء، متجر يربح عشرين ألف جنية شهريًا، ولا يعطيني سوى سبع مائة وخمسين جنية + سجايري. .

جاءت الفتاة إياها، وقفت أمام الفترينة انشغلت بالنظر صوبها وتأمل حركات وجهها بإمعان، صاحب المتجر مشغول بعد النقود، فتاة تضع تشيرت أمامها وتسألني (هو حلو عليّ)

لم أجبها وخرجت للفتاة إياها

كانت تتطلع إلى بالطو أسباني ثمنه يتعدي الثماني مائة جنية، رمقتني بإستغراب ثم سألتني (بكم هذا ؟) .

أجبتها:

- (السعر مدون علي التيكت).

- بعد التخفيض

مفيش تخفيضات ولا فصال

- لماذا ؟

هي دي سياسة المحل ؟

ولكن السياسة تتغير مع تغير المواقف .

بمعني ؟

أجابت في ثقة (لكل عميل درجة) ثم ابتسمت.

ولكنك لم تشترِ من هنا من قبل ؟

لأن سياسة المحل لا تروق لي ؟

ضحكت متهكمًا من غرابة حديثها ولغزها الحائر ثم قلت بعدم اهتمام (مش مهم المهم تروق لزبائن المحل) إرتسمت على وجهها علامات ضجر وضيق سرعان ما إحتوتها ثم قالت :

- (أنتم إذا لا تبحثون عن زبائن جدد)

- قلت ببرود الزبائن هي من تبحث عنا
لاحظ صاحب المحل انشغالي معها فخرج غاضَباً وتاهت هي وسط الزحام عدت إلي عملي وأنا مهموم بها، فتاة لطيفة. لماذا كنت فظًا غليظ اللهجة معها، لم تفعل شيئًا سيئًا، لماذا يتضايق منها صاحب المحل ؟ أيحسب أنها تحول بينه وبين رزقه (وش شوم يعني)
لا أعتقد أنه يفكر بتلك الطريقة المتخلفة. بيد أنه ليس رجلا مثقفًا، يهتم بتسطيح الأمور، لا يقرأ الصحف سوى باب الأبراج ورسوم الكاركاتير، لا يشاهد القنوات الإخبارية.قنوات الرقص هي الأولى في اهتماماته أكثر من نصف وقته يقضيه جالسًا أمام المتجر يدخن نارجيله ويتطلع إلي أجساد البنات بلذة المحروم مع أن زوجته ملكة جمال، لو كانت زوجتي لوضعتها في فترينه زجاجية وقضيت أيامي وليالي سارحًا في جمالها، ولكن علي رأي المثل (باب النجار مخلع)
مر العيد بسلام وسرعة، قضيته مع أصدقائي في التنزه في ميادين وحدائق القاهرة نهارًا أما الليل فكان من نصيب السينمات والمولات وكوبري قصر النيل

عدت للعمل ثالث أيام العيد، صاحب المتجر مع زوجته في إجازة في شرم الشيخ، الساعة الثانية ظهرًا، لم أبع ولو بسنت واحد منذ الصباح. لا يوجد وافدون جدد، الحال مش ماشي ، (حتمًا ستأتي) ساورتني نفسي بقلق أريد أن أعرف قصتها، عيناها مليئة بالألغاز، وجهها يحمل الكثير من علامات الإستفهام، "لا لم تأتِ اليوم إجازة حكومية " حدثتنى نفسي الحائرة

التي سرعان ما أجابت : من الممكن أن تكون في قطاع خاص أو أهالي
أدرت مؤشر التلفاز وجلست أستمتع بمشاهدة قنوات الرقص، أقصد القنوات الإخبارية للهروب من الوساوس والسرحان حتى جاءت، وقفت حائرة تتطلع إلى الأزياء المعروضة بالفترينة، رمقتني بنظرة مليئة باللطف والمودة وكأنها تسحب ناعم ثم ارتسمت على شفتيها بسمة عليلة ظهرت علتها من الحزن الواضح في مقلتيها
تقدمت صوبها معاتبًا نفسي على سوء تصرفي معها يوم الوقفة،
وقلت:
-"كل سنة وإنت طيبة"
- وأنت طيب.
- أنا آسف لمضايقتك.
قاطعتني :
- (لا تعتذر) أعرف أن صاحب المحل يتضايق من وجودي.
- لماذا تضايقيه؟
قالت وهي تتطلع إلى لافته المحل في الخارج بنظرة المهزوم:
- لكي آخذ ثأر والدي
تسألت في دهشة:
- وما علاقة والدك بصاحب المحل
- إنه أخيه.
تتطلعت صوبها بدهشة وقلق ممزوج بالشك. أخرجت بطاقتها ووضعتها في يدي، شرعت أقرأ البيانات إسمها شيماء ممدوح سعد الرعاش وصاحب

المحل اسمه سامي سعد الرعاش، تدفقت الشكوك والهواجس على عقلي الكثير من علامات الاستفهام تتراقص في أعماقي، صاحب المتجر قال لي في زله لسان أنه فقد أخيه منذ سنوات، مرة أخري قال أنه وحيد مرة رأيته يخرج صورة رجل من خزينة المحل ويتطلع صوبها باستماتة وغضب ثم يضعها ويغلق الخزينة، صورة الرجل في البطاقة أتذكر بعض ملامحها، عينه اليسرى ضيقة للغاية، اليمني حدقتها واسعة، شاربه مفتول
تطلعت صوب الفتاة بنظرة مليئة بالحيرة، أسرعت لفك طالسم ألغازي وأخرجت صورة والدها ثم بكت بهستريا

الصورة بها نفس الملامح، أدخلتها إلى المحل وأجلستها على كرسي، حاولت تهدئتها لمعرفة الكثير
مسحت دموعها وقالت بصوت متشنج
- أنت لا تصدقني، ولكن استمع لحكايتي أريد مساعدتك
هززت رأسي إيجابًا في محاولة لمعرفة حكايتها. وشرعت تحكى:
- كنت في الثالثة عشر من عمري أعيش مع أبي و أمي وأختي ناهد في منزل العائلة، ويعيش معنا عمي سامي وزوجته وإيمي وسالم وحكيم أبنائه الثلاث، أبي كان يعمل في عمر أفندي، مدير بيع، يتمتع بعلاقات جيدة مع الزبائن، أفضل مدير بيع في تاريخ الشركة، أمي طيبة للغاية، هي سيدة المنزل وخادمته، تفعل كل شئ في منزلها ليس لأسرتها فقط بل للجميع، تطهو تكنس، تغسل، تبتاع الخضروات والحبوب والفاكهة وشتي أنواع الطعام لاتنام سوى خمس ساعات يوميًا زوجة عمي (هياتم) امرأة متغطرسة

سلبية، تهرب من مساعدة والدتي بالعديد من الحجج تعبانة، زهقانه، رايحة مشوار، لا تقوم سوى ببعض المهام الضئيلة التي لا تكلف جهدًا، تستمتع بمشاهدة التلفاز وأمي كادحة في أعمالها المنزلية باختصار امرأة معندهاش دم ولا دين، عمي بدوره ضعيف الشخصية، يستمع لتعاليم زوجته وأوامرها، لا يساعد في نفقات المنزل سوى بالقليل.. زوجتة تدخر كل النقود وتخبئها والدي إنسان طيب وشهم يؤمن بالمسئولية، وصاه جدي علي أخيه، لا يفكر في كل هذا، لا يستعد للمستقبل الغامض، يؤمن دائمًا إن الإنسان الجيد هو من يعطي بسخاء دون مقابل، أما الردئ فهو من يأخذ من الحياة دون أن يضيف لها شيئًا يذكر، لذا كان ينفق بسخاء، يحتوي أولاد أخيه، يغمرهما بحنانه لا يبخس لا ينكر شيئًا لا يبخل عليهم بشيء حتى إن بخل علينا نحن أولاده، عمي يعمل في أحد المطاعم الكبري، تخرج في كلية الحقوق، يعشق القانون والثغرات، لياليه يقضيها مع زملائه المحامين على المقاهي، يستمع لقصصهم والقضايا التي يترافعون عنها، ماذا فعلوا لإنقاذ المتهم، وماذا فعلوا لإنقاذ المجرم من حبل المشنقة، يدخن نارجيله بغزارة المطر تنهدت الفتاة بضيق، وقالت " لن أطيل عليك " .

قلت وأنا مأخوذ بقصتها(أكملي إني أسمعك)، إستطردت .. ذات ليلة كانت أسرتي كلها في الخارج، عدت من دروسي إلى المنزل وصعدت للطابق الثاني حيث حجرتي، وأثناء مروري بجوار غرفة عمى سمعت زوجته تقول له " افعل شيئًا لأولادك، إنه حقك " لم أهتم مرت الأيام حتى ألح عمي على أبي أن يترك عمله ويشاركه في إقامة مشروع خاص و ألح عليه ليلًا ونهارًا

بأن ذلك المشروع هو منفذ للأسرتين صوب المستقبل ولا جدوي في العمل عند الناس وافق أبي من طيبته وتوصل مع عمي إلي فكرة المتجر وبالفعل شارك أبي بالنصف وعمي بالنصف وقاما بشراء هذا المحل وإفتتحا المتجر. كان والدي يفعل كل شيء. يذهب لبور سعيد ويعقد الصفقات ويشتري الملابس، يبيع في المتجر، ينظفه، أما عمي فكان عمله الدائم الجلوس أمام المحل وشرب النارجيله والاستمتاع بالتحديق في الرائحات و الغاديات مرت الأيام وذاع صيت المتجر وكثر عائده، كان عمي يأخذ كل النقود ويدخرها.. أقصد زوجته وكان يعلل دائمًا أنه سيوفر نقود لشراء محلات جديدة كي ينتشر إسم الرعاش ويصبح ماركة مسجلة وسلسلة محلات كبرى على غرار عمر أفندي، وإشترى فعلاً العديد من المحلات حتى وصل عددها إلى خمسة في غضون عامين حتى بكت الفتاة بهستريا، ولم تستطع تمالك نفسها، شرعت في تهدئتها وأحضرت لها كوبًا من الماء، رشفت من الكوب

ثم استطردت .. مرض والدي بمرض عضال، خرج الأطباء من حجرته صامتين، دخل عمي إلى حجرته وانفرد به لنصف ساعة ثم خرج. كان ذلك ليلة ٧ سبتمبر ٢٠٠٥ . في صباح اليوم التالي مات والدي، هنا كانت الطامة الكبرى بعد مرور أسبوع، طردنا عمي من المنزل ومن المحل وقال بصوت مرتفع: لقد باع لي أخي كل شيء وهذه هي العقود، إما أن تعيشوا معي ولا تطلبون شيء وإما أن تخرجوا إلى الشارع.

وقفت زوجته منتشيه بالنصر، ترمقنا بنظرات الإنتصار ، أمي كانت منكسرة، مهزومة يائسة، خافت علينا من الشارع وافقت على العرض على

البقاء والسكن مجانًا مقابل خدمتها
إلا أني رفضت وتشاجرت معها ووقفت أمام عمي وصحت :
- سنأخذ حقنا ولن تهزمنا إن غدًا لناظره قريب
التفت إلى والدتي وهددتها إما أن تأتي معي أو تبقي، ناهد استمعت لي وكانت في صفي خرجت معي من المنزل وبعد قليل تبعتنا أمي. مشينا نحن الثلاثة في الطرقات، لجأنا إلى كم هائل المحامين قمنا بإيجار شقة في فيصل لمدة أربع سنوات، أمي خرجت للعمل خادمة في المنازل، ناهد عملت في أحد محلات الخياطة، أنا أعمل في الشارع الخلفي سكرتيرة في شركة سياحة رفعنا العديد من القضايا مرت السنوات والمحصلة صفر. حكمت المحاكم بصحة توقيع والدي على عقود البيع، خرجنا من المولد بلا حمص، انتصر عمي وخسرنا كل شيء هذه هي قصتي، صمتت الفتاة وحدقت في أرضية المتجر للهروب من نظراتي الحادة صوبها عقلي ما زال مشتتًا، علامات الاستفهام في أعماقي قل عددها، شعور يساورني إنها صادقة، قدمت لكي أساعدها، عقلي مشتعل، نفسي الشيطانية تكذبها، تساورني بأنها جاءت لتستغلني ، انتظرت الفتاة ردي كثيرًا حتى، قطعت الصمت بقولها
- اكتشف أنت الحقيقة وعندها أنا واثقة أنك ستساعدني وسوف تصدقني لأنني لا أكذب.
ثم انصرفت وتركتني وسط كم هائل من الحيرة والألغاز قضيت ليلتي حائرًا عيني لا تغفل، بضع أفكار شيطانية تتصاعد وتيرتها بين الحين والآخر في عقلي ثم تنخفض تدريجيًا ليحل محلها شعور لا أعرف مغزاه أن الفتاة صادقة، وحيدة، يائسة تحتاج أن أقف بجوارها، مصباح الغرفة يشاركني

حيرتي، تزداد إضاءته بضع لحظات ثم يرعش ضوءه من انخفاض التيار الكهربائي. قضيت ليلتي مستلقيًا على الفراش حتى أذن الفجر، خرجت للمسجد لأداء الصلاة في جماعة لأول مرة في حياتي، أحسست بمشاعر دافئة، السكون يملأ أعماقي، راحة البال ارتفعت لعنان السماء الألغاز في أعماقي انقرضت، أديت الصلاة وعدت إلي المنزل وغرقت في سبات عميق مليئ بالأحلام لا أتذكر منه سوى شيء واحد هو

الفتاة شيماء كانت تائهة وأنقذتها، رويت الحلم وليس القصة لإمام المسجد في الصباح قبل ذهابي للعمل، في البداية قلت إنه نفسي الداخلية، ولكن دفعتني الحيرة للذهاب إليه، صمت الإمام برهة ثم قال ساعدها إنها تحتاج إليك ثم انصرف. ناديت عليه فلم يجيب فخرج من المسجد وتاه وسط الزحام ، علي العموم هدأت نفسي قليلا وذهبت إلي عمل عاقداً العزم علي أنا لا أفعل أي شيء ؟ ليس سلبيًا والعياذ بالله، ولكن لأنني لم أتأكد بعد من صدق روايتها، لا أخفي عليك أن قلبي ارتاح لها، أعماقي اهتزت من قصتها، ضميري الذي أحاول دائمًا أن أخنقه تحرك للأمام لا أصدق كلام المشايخ إلا في الدين، أما الأحلام فأومن أنها علم غامض بين الوجود واللاوجود بين الحقيقة والخيال بين الأعماق في الإنسان وأعماق الطبيعة علي العموم ذهبت للمتجر كانت الساعة السابعة صباحًا، ميعاد فتح المحل الثامنة، فوجئت أن المتجر مفتوح، دلفت للداخل فإذا بصاحب المتجر أمام الخزينة يتوتر وينفعل لإغلاق باب الخزينة سريعًا واقترب مني قائلًا لماذا جئت مبكرًا على غير عادتك ؟

أجبت وأن أتابع حركة يده اليمنى وهو يدس ببعض الأوراق في سرواله.

لم أنم سوى ساعتين وراح النوم من عيني لذا جئت .
وضع يده اليمنى مشجعًا لي على كتفي ، وابتسم ابتسامة صفراء ليواري توتره وقال :
- عفارم عليك سأذهب لقضاء عمل وأعود إليك بعد العصر اهتم بالعمل
سلام عليكم
ثم انصرف ودعته وأنا عقلي مزدحم بالأفكار والألغاز ثم أمسكت المقشة وشرعت بتنظيف المحل حتى اقتربت من الخزينة، ورقة زرقاء علي الأرض، نسيها صاحب المحل، التقطها، ساورتني نفسي الشيطانية أن لا أقرأها حتى لا أكون خائنًا للأمانة، أما ضميري فظل يصرخ ويدفعني لقرأتها، قلبي هو الأخر ظل يخفق بقوة شديدة ويبتزني إن لم أقرأ الورقة سوف ينفجر لذا قرأتها، قلبي ظل يخفق، نفسي الشيطانية خلعت ضميري ظل يتراقص فرحًا، الورقة هي رسالة من محامي يدعي (حسن شعلان) إلى صاحب المتجر التاريخ (٦ سبتمبر ٢٠٠٥)، وفيها إسم عقار طبي ينصح راسلها باستخدامه لتدمير عقل الضحية والسيطرة على أفكاره وهو عقار طبي نادر لا يصنع سوى في روسيا وتم تهريبه لداخل مصر .

هنا صعقتني المفاجأة، وتنهدت بقوة حتى دخل زبون أسرعت باخفاء الورقة وتحركت صوب الزبون لأساعده في اختيار ملبسه.
في المساء، وأنا مستلقي على فراشي، تدافعت الاسئلة على عقلي لماذا ترك صاحب المحل ورقة إدانته في خزينة المحل ؟ ما أهمية تلك الورقة ؟ إذا كان والد دينا قد تم حقنه قبل وفاته بهذا العقار فقد مر على رحيله أربع

سنوات كافيه لتحلل الجثة عن بكرة أبيها. لماذا سقطت تلك الورقة منه، لماذا توتر وتلعثم عندما شاهدني وتحول منظره للص ؟ لماذا ؟لماذا ؟
ما زالت نفسي الشيطانية تحاصرني، تقحم نفسها بين الحين والآخر وسط علامات الإستفهام في عقلي، تهددني بالضياع إذا خنت الأمانة ، تطالبني أن أذهب في الصباح وأعطي الورقة لصاحب المحل، تكمم أفواه ضميري الذي يستيقظ بين الحين والأخر ليصفع ترددي وحيرتي ويطالبني بمساعدة الفتاة إياها، على العموم صفعت أنا نفسي الشيطانية، ونمت وأنا عاقد العزم على نصرة ضميري المكلوم مهما كانت العواقب
اتصلت في الصباح الباكر بصاحب المتجر واعتذرت عن الحضور اليوم بحجة تعبي، وافق بعد طول معاناة وإلحاح منه بذهابي للمحل والجلوس وعدم الحركة، ولكني رفضت

ذهبت إليها في مقر عملها، استقبلتني بحفاوة بالغة وأعدت فنجانًا من القهوة وجلست لكي تسمعني لم أتكلم وأعطيتها الورقة، قرأتها ثم وقفت في قمة سعادتها وظلت ترقص بهستريا وسعادة المنتصر حتى توقفت وهى فى قمة الخجل والإحراج وقالت (أعتذر لم أتمالك أعصابي)
جلست بجواري ندرس الخطة وماذا سنفعل وهي في قمة إعجابها بي. وذهبنا إلى المحامي وذهبت أنا إلي المحل في اليوم التالي واستقبلني الرجل ببرود وصاح (هذه أخر إجازة لك إن تعبت بعد ذلك سوف أفصلك عن العمل)، تضايقت وتطلعت صوبه بنظرة مليئة بالحزن سرعان ما حاول احتوائها وهو يتودد لي (أنت مدير المتجر وتعرف كل شئ عنه أعدك

لتكون مدير كل محلاتي تحمل وستصل إلى غايتك)ثم جلس.. على ما

أتذكر لم يختلس نظرات من أجساد الفتيات العابرة في الطريق لا أعرف لماذا ؟ ،ولكني لاحظته ذلك اليوم ضعيفًا، يائسًا، ضحية، يأخذ النفس من النارجيله ثم يرفع فمه في الهواء ويزفر الدخان بشراسة وكأنه يستخلص الأحزان في أعماقه، صفعني ضميري صفعه قوية وقال (لا تستمع لنفسك الشيطانية ولا تعبأ بها إنها تحاول إخماد نيران مبادئك لصالح أغراضها) على العموم، صدقت ضميري، وهرعت في الخفاء أساعد الفتاة ونذهب للمحامي في المساء حتى جمعنا عدد لا بأس به من الأدلة وقام المحامي برفع دعوى وتظلم، علم صاحب المتجر وابتزني بالكثير من المال، رفضت، أغلق باب المحل وشرع في قتلي وقد تحول لثور هائج، أفلت منه بأعجوبة ثم هربت وذهبت للشرطة وحررت بلاغًا ضده بتهمة التعدي. مرت الأيام حتى حكمت المحكمة بالحكم النهائي بعودة المنزل والمحلات لورثة ممدوح سعد الرعاش بعد أن تأكد الطب الشرعي من وجود بقايا العقار في عظام جثة القتيل أما سامي فكان مصيره السجن. ثم تزوجتها وأنجبتكم وعليكم أن تراقبوا ضمائركم فالشر نهايته قاسية مهما طال الزمن، هذه هي قصتي مع أمكم. .. كانت هذه القصة التي رواها سعد إبراهيم لأولاده مصطفي وإسماعيل وعلاء في حديقة منزل عائلة الرعاش .

مفيش فايدة

كانت الساعة الثانية صباحًا، الطريق مكفهر وخالي من المارة، لا سيارات أجرة ولا تاكسيات، مر عليّ نصف ساعة وأنا واقف متضايق أنتظر الفرج.. أي سيارة تقلني إلي قريتي التي تبعد خمسة كيلو مترات من مدينة دسوق، كنت عائدًا للتو من القاهرة، ينتابني صداع فظيع وإحساس بالتعب ينخر في جميع أنحاء جسدي

أرغب في النوم لأيام، عيني تنغلق ثم سرعان ما تنفتح مقلتي خوفًا أن أنام في الطريق، أشغل وقتي في الغناء حتى أنعش عقلي، الطريق ما زال خاليًا من أي شيء، الشبورة تسيطر والضباب ينتشر، عقلي ما زال يقاوم النعاس

عربة كارو تخترق الضباب، يبدو أنها متجهة خارج المدينة، جاء الفرج وقف العربجي وتطلع صوبي، وجهه ليس غريبًا، من سكان قريتنا أو ربما قرية مجاورة أعرف ملامحه ولا أعرف اسمه، هو يعرفني جيدًا ويعرف والدي، حدق في لبضع ثواني للتأكد ثم قال أستاذ إبراهيم - مروح ؟

سارعت للهروب من المأزق أيوه يا عم الحج

قفزت على العربة ووضعت حقيبتي أستمتع بالجلوس وراحة أعصابي المشدودة والمنهكة من كثرة انتظاري

ألتقط أنفاسي ثم حمدت الله وشرعت في النعاس، أيقظتني كلماته وصوته المرتفع (إيه اللي مأخرك لحد دلوقت)

أجبته وأنا عيني تتراقص بين النوم واليقظة

- كنت في مصر

- مصر ؟ يا سلام هتلاقي مفيش مشكلة جاز هناك

- مش عارف
- والله حرام صفيحة الجاز بخمسين جنية، شوف الإستغلال، بقالي عشر ساعات علشان أملى خمس جراكن البنزينه زحمة والناس كانت بتموت في بعض، ومحدش بيحترم دوره إحنا شعب ميعرفش النظام .

الصداع ينتشر في جميع خلايا عقلي لا وقت للحديث مع السائق، حوادث وكلام وعيني تريد فقط أن تنام بأي ثمن، جاريته في الكلام حتى لا يطردني من عربته
- ليه مليت خمسة وما اكتفتش بمليان واحد، إحنا اللي بنعمل الزحمة
تتطلع صوبي بإستغراب ممزوج بغضب ثم قال:
- (هو أنا فاضي كل شويه أجي ما أنا عملت حساب لبقية الأسبوع عندي ري طوال الأسبوع وماكنه الري فاضية)
حسنا سيصمت بعد هجومي عليه ورده الغاضب ويتركني هنا بضع لحظات من السكينة والنوم ،ولكنه سرعان ما إستطرد(إحنا شعب بنحترمش بعضنا ، وعمرنا ماحنتقدم ، تصور أن أنا واقف من الصبح جه واد كالح عنده سبعة تشار سنة ومصمم يملي قدامي)
تنهدت بضيق وحدثتني نفسي إن هذا المجنون لن يسكت، يريد أن يتحدث حتى نصل إلى القرية المهم جاريته في الحوار وأنا مضطر:
- (معلش يا عم الحج إنت الكبير)
هنا أحسست بالعزلة عن كل ما حولي، عيني غرقت في سبات عميق، ولكن أذني تلتقط بضع الكلمات (حرام إستغلال دور عايزين حاكم

ديكتاتور مصلحته بازت)، هنا أيقظني العربجي الآن أنا أمام منزلي وصلت لقريتي، يا لها من سعادة بالغة قفزت على الأرض.

رمقنى بابتسامة ذات معني ثم ضحك وقال:

- أي حاجة؟!

اندهشت من مطلبه وقمت بهز رأسي إستفسار عن طلبه قال بدون إحراج:

- أي فلوس أنت لو كنت جبت تاكسي كنت حتدفعله عشرين جنية

(يا ابن الايه)قلتها في صمت، وضعت يدي في جيبي وأخرجت له ورقة فئة خمسة جنيهات ورميتها في يده، إلتقطها وهو في غاية السعادة وقال :

- تصبح علي خير .

تحركت صوب منزلي وأنا منكد ولسانى يردد (مفيش فايدة)

قصة لم تكتمل

لا أعرفها عن قرب، رأيتها ثلاث مرات واقفة في بلكونة منزلها، قصيرة القامة هادئة الطباع، قليلة الكلام، محترمة إلى درجة مخيفة، عيناها واسعتان مليئتان بالآمال، جلست بجواري ذات مرة في الميكروباص الذي سيقلنا إلى حارتنا، كنا في الكرسي الخلفي الذى لا يتسع سوى لثلاث ركاب السائقون يحملون أربعة في كل كرسي وكأنها علبة سردين، ليس جشعًا لا سمح الله، ولكن بحثًا عن الأفضل .

حاولت فتح حوار معها بحجة الزِّحام قلت:

- مرتاحة ولا أنزاح شوية ؟

قالت ببرود:

- لا خليك زي ما أنت .

قفلتني وأنهت الحوار، من يومها ولم أراها، المعلومات التي تأتي عنها نادرة وشحيحة ناتجة عن انعزال أسرتها عن باقي سكان الحارة، هي كذلك لا تخرج من منزلها بتاتًا من البيت للجامعة، من الجامعة للبيت، لا أعرف سوى إسمها، ولكن لن أخبرك به حتى لا تعلم إسم بطلة أسطورتى الخاصة لم أحاول أن أرسل لها رسول، فقط أريد أن أراها، عندما تقع عيني عليها أشعر بطمآنينة وسكون لا نظير لهما. بيد أن قلبي يخفق بقوة، عيني تملأهما السعادة فتفيض الدموع منهما إحساسًا بداخلي يقول أنها ستكون زوجتي (شريكة حياتي) حتى حساباتي المستقبلية تأهلت لذلك بدون إستئذان مني ،لا أعرف حتى في أي جامعة هي، كم عمرها ؟ مدى ثقافتها ؟ سقف طموحاتها. خفه دمها ؟ متى تغضب ؟ كيف ؟ لماذا ؟ أي شئ يسعدها ؟

أسئلة كثيرة تنهال عن عقلي تبحث عن إجابة وحتى كتابة تلك السطور ما زالت علامات الإستفهام كما هي. ما زالت قصتي معها لم تكتمل بعد ..

الرقص فى الهواء

سيدى رجل جميل المظهرمفتول الشارب عريض المنكبين دمث الخلق أمام الغير .يحترمه الصغار قبل الكبار فى حارتنا. سمعته الحسنه تسبقه فى كل مكان، عند مروره فى حارتنا ذهابًا وإيابًا يقف الجميع إجلالاً له ويبادلونه التحية بحفاوة وترحاب.

يسُكن معى فى الشقة، أوبمعنى أدق أنا خادمته، لم يتزوج بعد، عمره تخطى حاجز الأربعين عامًا، مازال فى رحلته للتنقيب عن فتاة أحلامه، لا أعرف مواصفاتها، ولكن من خلال معاشرتى له ردحًا من الزمن، يبدو أنها لابد أن تكون مثقفة ذكية جذابه وفاتنه تعشق الجمال والإتيكيت ذات حس فنى فريد مثل سيدى فديكور شقته مصنع ومرصوص بطريقة أنيقة ودقيقة، التحف تزين بهو الشقة، نباتات الزينة معلقة على كل جدران الشقة تتراقص أوراقها بكلاسيكية فريدة ناتجة من تيار الهواء المندفع بكلاسيكية ممزوجة بالصفاء من مرواح ستاند منتشرة قبالة الجدران تتراقص الأوراق أمامه بسلاسة. يحدق ويتأمل فيها سيدى بسعاده بالغة وهو ممد على أريكته الأمريكية الصنع، تهتز رأسه يمينًا ويسارًاعلى إيقاعات موسيقى عمر خيرت، يشعل سيجاره الفاخر ويستجم غارقًا فى بحر من الأمال يصطنعها قلبه للهروب من ذكريات قاتمه تحفر أثارها الحزينة فى عينيه الغائصتين، لاأعرف شيئًا عن ماضيه ولا يهمنى، وقعت فى غرامه عند مروره بمنزلى القابع وسط الحقول على يسار حارتنا، أحببته أو بمعنى أدق عشقته. أخبرت أسرتى بمشاعرى تجاهه، فإنهالوا علي ضربًا واستنزلوا

اللعنات من السماء، انزويت على نفسي ألملم أوراق حبي المبعثرة من عاصفة جلف أسرتي، لقد نبض الحب فى قلبي فلماذا يحاربوه ؟ هربت من منزلى عندما وصل اليأس بى من تعنت الجميع حولى إلى عنان السماء. تتبعت سيدى حتى وصلت إلى شقته. دخلتها عنوه، استشاط غضبًا فى البدايه لرؤيتى. هب لضربى، تعهدت له أن لا أوذيه وابتعدت مختبأة فى أحد الأركان أتوسل إليه. تقبلنى أو ربما أشفق على حالى، يعرف أننى مسكينه بائسة مقطوعة من شجرة بعد رحيلى عن منزلى الذى لن أعود اليه خوفًا من تصفيتى للخروج عن القواعد الصارمه لأسرتى.

ربما تركنى لأننى سأعتنى بنباتته وزهوره التى ينبهر برقصها. وفى يوما من الأيام كان سيدى ثملًا لدرجة أننى ظننت أنه يحتضر (لا تخبر أحدًا بهذا فكل من فى الحارة لايعرف عن سيدى أنه يشرب كحول). لا يعرفون تناقضه و وقاحته، أنا أيضا لا يهمنى ذلك الجزء الهش من شخصيته. ما يخصنى هو مفاتيح قوته .

المهم كان سيدى مولعًا بالموسيقى ويدندن معها رغم أنه كان متعبًا وثملاً كما قلت مسبقًا، لاحت لى فكرة جنونيه لماذا لاأرقص له فى الهواء ؟ تكلمت معه كثيرًا صرخت في وجهه من أجل أن يخفق قلبه ناحيتى و تهتز مشاعره من رياح الحب الجارفه بداخلى، لكنه دائمًا يتلاشنى لا يعبأ بكلامتى ولغتى، كأنه يسخر منى، لابد أن يرى مدى إهتمامى به، أخذت نفسًا عميقًا وظهرت أمامه فجأه ورقصت فى الهواء لا تسأل كيف ؟ لأنك لن تفهم

كلماتى فى الرقص وأنصت ولا تتكلم، تطلع صوبى مذعورًا، ورفع رأسه من على وسادة كانت بجواره، وانعقد حاجبيه دهشة ثم قام من مجلسه بحيوية غريبة وهو مستشاط غضبًا وظل يصرخ ويصرخ، أمسك حذائه وهم بضربى، أنقذت نفسى منه بأعجوبة، هرول خلفى وعيناه جمرتان من النار حتى اختبأت منه فى المطبخ، تنهد بضيق وردد بضع كلمات لا أفهمها ثم عاد إلى أريكته واسترخى من جديد.لماذا يعاملنى بقسوة ؟ ماذا فعلت ؟ يبدو أن طريقتى فى الرقص لم تعجبه ؟ على العموم سأخرج لأعتذر له، وأرقص من جديد بطريقة أخرى، لا بد أن أصارحه بمشاعرى بقوة وجرأة.
أقحمت نفسى أمام عينيه فتراجع فى ذعر، اقتربت من أذنه لأهمس له بمشاعري هب واقفًا وهو يصرخ ويستغيث، تسمرت فى مكانى شاردة من جبروته وقسوته، وظللت أتوسل له أن يعتق مشاعرى من رمضاء كبريائه.
استغل هو ضعفى وأمسك حذائه وضربنى به حتى سقطتُ أرضًا، ثم انهال ضربًا على جسدى دون رحمة، و وقف نادمًا لايعبأ بألمى وزفر بضيق وقال كلمات لا أفهمها وحملنى بيده وألقانى من نافذة منزله فى الشارع أمام مدخل عمارته، أغلق النافذة جيدًا ولم يعبأ بى.
فهل هذا هو جزاء الحب ؟أرجوك لا تأخذنى إلى البراري الواسعة أود أن أموت هنا تحت نافذته وأن تدهسنى قدماه ذهابًا وايابًا فكل ذرات جسدى تشتاق إليه ولتغفر لي أسرتي..
كانت هذه هي الرسالة التى أخبرتها النحله لذكر النمل(الذى يحمل السكر لخلية النحل مقابل أجر يومى) وطلبت منه أن يعطيها لملكه النحل ويتوسل إليها أن تعفو عن تلك النحلة المسكينة.

السكون

- حسنًا إنها أمامك فى كامل أنوثتها وبريقها كما هى دائمًا، ماذا جاء بها إلى محل والدك الذى تديره؟..هل جاءت لتبتاع ملابس من باب الأقربون أولى بالمعروف ؟ أم جاءت لتسدد ثمن حبك لها سنوات وسنوات وتطمئن عليك ؟؟ وجهها مازال ناصعًا، جسمها إمتلأ بعد الزواج وترعرع وأصبحت لها جاذبية لا تقاوم، النساء يتغيرن بعد الزواج إما للأفضل أو للأسوء...أما هى فقد تغيرت مائة وثمنون درجة بلغة الرياضيات، كمل رسمها الهندسى وتزين في أبهى صوره بلغة الهندسه، إكتظ جسدها وتماسك واحمرت شفتاها بلغة الطب، أصبحت فاتنه فوق الإحتمال، هذه هى عادتها لا تقبل بأنصاف الحلول ولا ترتضى التقهقر إلى الخلف..

- السكون يملئ المكان، والدي فى المسجد لأداء صلاة العشاء، الشارع شبه خال من الماره، لا زبائن فى المحل، لا شئ سواى وسواها وربما الشيطان مختبئًا في أحد أرفف الملابس المكدسة..

- إنها أمامك صامتة لا تتكلم، تختلس نظرة منك ثم سرعان ما تخفض وجهها أرضًا، أهو شعور بالندم على زواجها من غيرك ؟ أم جاءت لتواسيك وتتضرع إليك أن تعفو عنها وتغفر لها؟

- قلبى ينتفض بقوة، ثورة عارمة تجتاحنى من الداخل، يدى ترتعش بهستريا، ثمة إحساسٍ كامنٍ بداخلى يراودنى صوبها، شفتاى تهتز، عينى لا تصدق نفسها، هى كذالك أيضًا وجهها تورد، تكاد دماء الخجل والندم أن تنتفض منه، مازالت تحبنى وإلا ماذا جاء بها إلى هنا ؟ لا .....إنه مجرد كابوس..

- ليس كابوسًا أيها الأحمق ؟ إنها أمامك، إنتقم لسنوات عمرك الضائعة في

حبها، إجذبها إليك،اشفِ غليلك، ارو ظمأ الإحساس المتمرد بداخلك اوئِدْ توترك وانشغالك بالتفكير بها ليلًا ونهارًا، إنها تريد ذلك، جاءتك رافعة راية الاستسلام والهزيمة، ندمت على ذبح قلبك على تلال أطماعها وأنانيتها تاهت بها السبل وتعثرت سفينتها فى وحل جفاء وصرامة زوجها الطيار الذى باعتك من أجله فباعها من أجل السماء، لا يقضى معها سوى ثلاثة أيام كل شهرلإنشغاله فى عمله، البلد تتعرض لمؤامرة كبيرة بعد ٢٥ يناير والثورة قلبت الأوضاع، الجيش مشغول بحراسه الحدود التائهة والقوات الجويه لا تنام، ليلاً ونهاراً فى السماء، تركها زوجها إلى السماء، فضاقت بها شقتها، سجن كبير أسيرة فيه، ليس هذا ماتتمناه، إضربها، ولكن لا تحبسها إنها عصفورة تعشق الإنطلاق دون هوادة..

- كانت زميلتى فى الجامعة، الكل يحسدنا على قصة حبنا، لا يوجد مكان في الأسكندرية إلا وذهبنا إليه، حفرنا فيه أسمائنا وأحطناها بقلب نابعه الأمل، كانت متمردة تحب الرحلات والفسح والإنفاق ببزخ لدرجة أن جيوبى ثقبت وأشهرت إفلاسها، نفدت كل نقودى من أجلها، تشاجر معى أبى وسيطرت الهواجس والشكوك على عقله، ظن أن ابنه الوحيد قد انحرف عن مساره، قد أضحى بين عشية وضحاها مدمنًا للحشيش أو ما شابه، طردنى من المنزل ليال كثيرة، توسلت له أمى بحقى فى العودة، عدت إلى منزلى من جديد وعادت ريمه لحالتها القديمة، وتوجهت كل نقودى من جديد صوب فتاتى المعهودة، لم أهتم بالحرب الباردة مع أبى، كانت كل حشودى واهتماتى هى، كل ذالك كان على قلبى كالعسل، إنها حبيبتى.. شريكة حياتى، النقطة البيضاء الوحيدة بداخلى، فيجب أن أحافظ عليه

كل شئ يهون من أجلها ومن أجل التراب الذى تمشى عليه، ومرت الأيام والحب يزداد إشتعالاً وجمالها يزداد بريقًا والأنظار تهوي عليها من كل صوب، وهى تقاومنى بقوة، لم أستطع الحصول منها على شئ سوى قبلة مرتبكة فى عيد ميلادى، كانت تقول(اصبر وسنتزوج وعندها إفعل ماشئت)..... ولم أفعل أى شئ ؟ وتزوجت من الطيار تحت ضغط والداها ووالدتها وزُهد والدي وضيق حاله. لم يوافق أبوها على..... رفضنى من أجل الطيار، تزوجت العصفورة المتمردة من عصفور طائر وطارت معه..... وطارت معها أجمل الذكريات، ماذا جاء بها إلى العش، إلى السكون ؟ هل إنتهت رحلتها فى السماء؟

- مازالت صامتة ترنو إليك بخجل واشتياق، وحيدة، مهزومة، لا تكن غبيًا، انتهز الفرصة، ضمها إليك، لن يراك أحد، قبلها مرات ومرات بعدد ذكرياتك معها، أغلق باب المحل، الجو يسطو عليه السكون الملهب للمشاعروالذى يسبق العاصفة..... نعم العاصفة في داخلك وإن لم تخمدها سريعًا فستذهب أنت أدراج الرياح، إطفئ الأنوار، هى لن تصرخ لأنها لا تحب الفضائح، إخمد النيران بداخلك، احقن ضربات قلبك العاصفة بمهدئ رائحة شعرها الداكن، ولكن لا تنزع ريشها مازالت حبيبتك رغم كل محاولتك البائسة لنسيانها... هههه نزعت ريشها .. لاتهتم-إنها تقاوم بشراسه بالغة (ابتعد ياحسن لم أكن أعرف إنك كذلك) ..
لا تستسلم لحديثها، إستمر فكلهم يتحدثون بهذا الهراء ثم سرعان مايستسلمون لك، قيد يدها حتى لا تخدش وجهك، إغتنم الفرصة فإنها لن

تتكرر وكم من فرصٍ ضاعت معها بسبب غبائك ورغبتك فى الزواج منها.. إحترس من المقص، حسنًا قلبك ينبض بقوة تحدث ضجيجًا فى أذنك هز صداه السكون الكاذب حولك، هى مازالت تستغيث بك منك، وتحاول النجاة رغم أنها غرقت بإرادتها فى بحر حبك، حاول إخماد تمردها بكلمة (أحبك ... أشتاق إليك ... أنت كل شئ فى حياتى)، ادفعها إلى المخزن الداخلى، احملها على ذراعيك كما كنت تتمنى عند الزواج بها، ولكن احترس فإنها ثقيلة، جسمها إمتلأ وفحلت أنوثتها .. حسنًا وقعت على الارض وتألمت وصرخت بقوة صرخة أطاحت بالسكون الكاذب الذى يملأ المكان. واهتز قلبك خوفًا من الفضي .. لا أعرفك ... لا تقلق لن أتخلى عنك، الشارع إمتلأ بالمارة، إنتهت صلاة العشاء، سارع بفتح المحل ولا تهتم بنظراتها، عُد إلى سكونك وحاول أن تبدو طبيعيًا، نسق ثيابك، أشعل الأنوار، قف خلف الفترينة وتحدث إليها على أنها زبونة، إستخدم ذكاءك.

- هى كذلك ذكية، نسقت ثيابها بسرعة البرق، بصقت فى إتجاهى ورمقتنى بازدراء وشرارة غضب وفاضت عيناها بالدموع..

- لا تهتم، أمرك لم ينكشف، لا أحد يقف أمام المحل، الصرخة لم تخرج خارج العش.

- مازالت أمامى مكفهرة الوجه، تكشر عن أنيابها بقوة، ستقتلنى للتو ستنقض للإنتقام منى في عقر دارى وتطير ثانية إلى السماء قالت فى غضب وهى ترتعش بقوة (نادمة على كل ثانية أحببتك فيها أيها الحيوان) وطارت من حيث جاءت، وقفت متسمرًا فى مكانى لا أعرف كيف؟ ثمة ألم شديد فى جانبى الأيمن، ماذا فعلت معها ؟؟ ماذا فعلت بها ؟؟؟ إنها حبيبتى رغم

الفراق، أيكونة الحب الاول في داخلى، كيف ولماذا فعلت هذا ؟
- لأنك لا تحبها.
-إخرس .. من أنت؟
-أنت فعلًا لا تحبها، كانت أجمل فتيات جامعتك وكل الشباب يتسابق عليها، بداخلك حيوان شاذ أناني لا يحب إلا نفسه، نصبت شباكك حولها لتصادهها ثم تلتهمهما، لم تتركها لشخص يحافظ عليها ويعرف قيمتها، فقط أنت تريد أن يتحدث الجميع عنك أنك روميو حتى لو كان ذلك على حساب جثث قلوب العذارى، حتى عندما تقدمت لها كان(سد خانة) ويئست من أول محاولة ولم تعاود الكرة لوكنت تحبها لفعلت المزيد والمزيد من أجلها ولم تتخلَ عنها بهذه السهولة هذه هى الحقيقة ...
- إخرس لقد عرفتك أنت أبليس، أنت من جعلنى أفعل بها كل هذا ؟
- وإذا كنت أنا، فهذا إعتراف منك أن حيوان شهوتك ونرجستيك أقوى بكثير من حبك لها
- لقد ضعفت أمام حيلك ومكرك أيها الملعون .
- إذا هذا إعتراف منك أننى هزمتك .
- ابتعد .. ابتعد.
ظللت أبكى وأتوسل والألم يزداد حتى رفعت يدى اليمنى إنها دماء تسيل من جانبى، إهتزت أوصالى، أصابنى جزع وجمود من فرط الصدمة وتساقطت أرضًا وأنا أحاول جاهدًا تجميع قواى والنهوض من جديد هبت على طرف لسانى إستغاثة بالخارج، ولكنها ماتت لأن الألم كبل جميع أعصابى

- ستموت
- ماذا تريد إبتعد
- لقد خرق المقص جانبك وإخترق كليتك
- إبتعد يا ملعون....أعوذ بالله من الشيطان
- بداخلك شيطان هو مُعلمى.. هذا هو جزاؤك، أنت لا تستحقها فقد كانت تحبك لدرجة العبادة وجاءت لتخبرك أنها وضعت أول مولود لها وسيحمل إسمك. أنت لا تستحق سوى تلك النهاية البشعة.
- يارب
- لا تتذكرون الله إلا عند الكوارث
- إبتعد يا ملعون يا ربى أنقذنى من همزات الشياطين وأدخلنى الجنة وإغفر لى.
- كيف يغفر لك الله وأنت لم تصلِ له يومًا واحدًا فى حياتك.
- أعوذ بالله منك..
- كنت تهرب دائمًا من الصلاة تحت إلحاح والدك بحجة أنك تدير المحل .
- سيتوب ربى علي ويغفر لى. إنه هو الرحمن الغفور.
- لن تنفع التوبة لحظة الإحتضار..
- ماذا تريد إبتعد..أنقذنى يا الله

دلف أبي إلى داخل المحل وتسمر فى مكانه عند رؤيتى ثم جرى صوبى وهو شارد واستغاث بكل أهل الحى الذين تجمعوا لإنقاذى والصرخات والدعاء سويًا يخرجون من أفواه كل من حولى.

ولكن عم السكون المكان وحجبت سحابة القمر.

الفأر

الأمطار تهطل بغزارة من السماءوالرعد يتشاجر مع السحاب، مع الطبيعة مع المنازل، وأنا خلف زجاج نافذة حجرتى أتطلع الى ذلك المشهد المريب الذى لايتكرر تغمرنى السعادة من جانب وينتابنى إحساس بالخوف. من جانب آخر، كل بلدتى نامت عن بكرة أبيها, والدى ووالدتى يتعالى صوت شخيرهم ليعزف موسيقى صاخبة مع صوت الضفادع فى الخارج وعويل الذئاب فى الحقول.
أما أنا فوحيدًا يحاصرنى الخوف من خارج المنزل، حتى إنقطعت الكهرباء فإكتملت الدائرة وحاصرنى من الداخل .

تحركت التمس طريقى وأُحسس بيدى على سطح مكتبى بحثًا عن شمعة أشعلها لتضيئ غرفتى, هنا انتابتنى الهواجس وتسللت المخاوف إلى عقلى وأنا أتذكر بطل أحد أفلام الرعب عندما إنقطعت الكهرباء فى شقته وحاصره الظلام، فبحث بيده عن شمعه، ولكن العفاريت قبضت على يده ليصرخ وأصرخ معه. إرتعشت يدى وملأ الرعب أعماقى، ولكنى قاومت حتى وصلت إلى الشمعة وأشعلتها وتخلل ضوئها الظلام الدامس.
هنا لم أجد أيًا من العفاريت التى رأيتها فى الفيلم فغمرنى الإرتياح وعادت إلى نفسى السكينة شيئًا ما. فتحركت إلى الأمام صوب النافذة لأتامل معارك الطبيعة وغضبها الجامح وضعف الإنسان أمامها، حتى إنكسر زجاح النافذة وإخترقت إحدى الشظايا ذراعى اليمنى لأصاب بالذعر، ولكنى هدأت عندما رأيت أنها إصابة سطحية، تخلل الهواء العاصف إلى داخل غرفتى فأطفأ الشمعة وتناثرت الأوراق من على مكتبى حتى خرجت من

النافذة، وطارت فى الهواء ثم استقرت على أرضية الشارع المليئة بالوحل أمام باب منزلى، حاولت جاهدًا إغلاق النافذة بقطعة من الكرتون ووضعت خلفها لوحان من الخشب وثبتهم بالمسامير . أشعلت الشمعة وبحثت عن الأوراق المبعثرة وجمعتها، هنا كانت المفأجاة لقد ضاعت الرسالةالتى أرسلتها إليّ حبيبتى والتى لم أقرأها بعد، وبالمناسبة هى آخر رساله أرسلتها لى قبل حفل زفافها ليلة أمس كنت مترددًا فى قرأتها لا لشئ سوى أننى لا أحب كلمات الوداع.

لابد أن الرسالة قد سقطت إلى خارج المنزل, سارعت للخروج من المنزل بحثًا عنها غير مكترثٍ بمعارك الطبيعة .
إرتديت المعطف والتقطت كشافًا ضوئيًا وفتحت باب المنزل حتى أصبحت فى الشارع، وبحثت بعينى فى كل مكان فلم أجدها,
حتى تسمرت مكانى وأنا أرى فأرًا صغير يحملها فى فمه
- إنتظر...قلتها غاضبًا
تطلع صوبى الفأر فى سخرية وانطلق بعيدًا غير مكترث بى، ولكنى طاردته حتى سقطت على الأرض وارتطمت رأسى بصخرة صغيرة في
الطريق فصرخت بقوة من شدة الألم، تحسست وجهى فإذا بجرح فى جبينى ينزف والأمطار تنهمر فوق فتغسله، حتى إنفتحت نافذة غرفة نوم والدتى ورمقتنى بإستغراب ممزوج بالقلق وصرخت:
- إبنى؟
خرج كل الجيران للإطمئنان عليّ وكان فى مقدمتهم عم متولى وهو أفضل

جيراننا ويصمم يوميًا على التصبيح علينا بإلقاء قمامة منزله أمام بوابة بيتنا وسألنى متهكمًا:

من تسبب في هذا الجرح؟ نظرت إليه في تردد ثم قلت :

- إنه لص.

ضحك في هستريا ثم استطرد:

- وأين ذهب ؟

قلت فى تردد:

- إلى منزلك.

ومن أين تسلل إلى منزلي؟

قلت فى حيرة : من تحت الباب.

- وماذا سرق منك؟

- رسالة.

هنا خرج الفأر من تحت الباب ورمقنى بسخرية وهو يحمل الرساله في فمه ويتحرك ببطء صوب الترعة وكأنه يهددنى ويبتزنى، حتى قلت بصوت مرتفع

- إنه ليس لص إنه صديقى .

وقف الفأر ساكنًا بضع لحظات ثم ترك الرسالة

وهرب ..!

لحام الحديد

(1)

يقضي معظم وقته فى ورشته، أكثر من ست عشرة ساعة يوميًا بين أسياخ الحديد والمطارق وجهاز اللحام ذو اللهب، أذنه فقدت الحساسيه للأصوات الكلاسيكية أو الحس المرهف، تعودت على الضوضاء والضجيج وقعقة الحديد، ثيابه دائمًا ملطخة بالصدأوالتراب، وجهه نحيف وجاحظ العينين جسدة كتلة من الحديد، ملامحه شديدة الصلابة والجمود بيد أن بداخله بقايا بشاشة للحياه تحتضر، قوامه نحيف ورفيع، أسنانه صفراء بسبب تدخينه الكثيف.

يقابل سلام المارة بإبتسامة ظاهرها السعادة وباطنها الألم المتوهج كشعله نار تحرق أعماقه، لم يسعد بحياته ولو ليوم واحد على الرغم من أنه يبحث عنها دائمًا، رحل أبوه عن عالمه وترك فى رقبته ثمان أفواهٍ جائعة.
هو أكبر إخوته، خريج دبلوم صنايع قسم خراطه، أفضل صنايعى لحام وصناعة بوابات حديد فى الحارة .
يعمل معه ثلاثة عمال فى الورشة يقودهم بصرامة بالغة وإجادة في الإدارة يتمتع بسمعة جيدة فى الحارة، منتجات ورشته غاية فى الدقة والجودة وأيضًا أسعارها معقولة، كل بوابات المنازل فى حارته خرجت من ورشته ومن تحت يده إلا بوابة واحدة، هى بوابة منزل حبيبته(دينا).
أصر والداها على صنعها فى ورشة أخرى، ليس خلافًا مع لحام الحديد(أحمد)،ولكن لإبعاد ابنته عن شبح هذا اللحام، لم يتقبل فكرة زواج ابنته من لحام رغم أنه خياط يمتلك محلاً كبيرًا لحياكة وتصميم الملابس

معروف فى الحارة بإسم (اللباد).
دينا فتاة جميلة، قصيرة القامة، هادئة أحيانًا صاخبة فى معظم الأوقات صخبًا مليئًا بالمرح وخفة الظل لا بقعقعة الحديد؛ لهذا أحبها أحمد رأى فيها صخبًا يقاوم صخب الحياة حوله،ابتسامتها أمامه تزيل صدأ الحزن بداخله كلماتها الدافئة أحيانًا والحارة أحيانًا تلحم ماضيه البائس بمستقبل أوفر حظًا ينشده دومًا.

صمتها وأسهم عينيها العسلية تكبل أوصاله ومداركه وتعزلاه عن ضوضاء بشعة تحيطه. لهب الجمال فى مقلتيها يذيب غلظة الأسى فى حياته البائسة ملمس يدها الحريرية وهى تتحسس يده الصلبة المليئة بالشقوق يملاء جسده قشعريرة تهتز لها أوصاله وينبض قلبه بالحياة.
تمر دومًا من أمام ورشته ذهابًا وإيابًا إلى كليتها، تدرس في كليه التجارة جامعة القاهرة، يكبرها هو بخمسه أعوام، تومأ برأسها بتحية وابتسامة دافئة عندما تراه، يسقط قلبه في صدره من قوتها وتتخشب الكلمات في حلقه ويكتفي بهز شفتيه وتحريك أصابع يده اليمنى إتجاهها، يتابعها بجمود حتى تدلف إلى داخل منزلها القابع ناصية الشارع الرئيسي فى الحارة وهو نفس شارع ورشته، منزلها يبعد عن ورشته بحوالى خمسين مترًا، ولكنها تسكن بداخله هكذا يعتقد، حبها فى قلبه مازال يزداد صمودًا يومًا بعد يوم، اشتياقه إليها يزداد صلابة ومتانة رغم حظه العاثر، هى زوجته التى يتمناها لنفسه نشأت معه فى حارته، رباها على عبادته منذ أن كانت هرة صغيرة، شكّل عجينه تفكيرها بيده، حفلت طفولتهما بأجمل قصة حب فى التاريخ

لا يعرفها أحد، كثيرًا ما لعب معها فى الخفاء واختلس قبلة منها ورمقته بغضب وقالت (لا تفعل ذالك مرة أخرى وإلا سأخبر بابا) وكررها هو الكثير والكثير ،ولكنها لم تخبر بابا. يبدو أنها كانت تريده وتمنعه كما هى الآن يشعر أن شبح الماضى يطارده ويطاردها، نظراتها تنم عن بركان يثور بداخلها تجاهه، دمعة تحتضر فى مقلتيها لعدم إخماد ذالك البركان. هو كذالك أيضًا حيوانٌ جنسيٌ يصرخ بداخله ليس رغبة فى نيل غريزته من فتاته فحسب ولكن خوفًا أن تذهب لحيوان أخر، لم يفكر لحظة أنها لن تكون من نصيبه، أنها ستبيت فى أحضان رجل غيره، أنها ستكون أمًا لغير أولاده أن تدلل رجلاً سواه، أنها وأنها، كل تلك الأفكار الشيطانيه طرقها بمطرقة الأمل والحب وألقاها مع الخردة، هى بوابته صوب المستقبل الذى ينشده بيد أنها بوابة منيعة جدًا لم يستطع أحد عبورها أو الإقتراب منها، فأبيها متغطرس ومتكبر رفض جميع من تقدموا إليها، وضع شروطًا تعجيزية لكل من يطلبها، أولها مهر يتخطى خمسين ألف جنيه، ثانيها شقة فى المهندسين أو المعادى، ثالثها أن تكون العصمة فى يدها، يتعلل بأنه يحافظ عليها وعلى مستقبلها، يخشى أن تلقى نصيب أختها الكبرى خلود وتطلق وتجلس فى المنزل معه وتصبح فريسه للقيل والقال، لا يثق فى الأخرين ثقة نابعة من تجاربه الصبيانية المليئة بالإنحراف والعوج، ورغم كل هذا فإن أحمد يحترمه حتى تمر الأيام وتبقى دينا من أجله. فليرفض هو الكثير ويشترط، المهم تبقى دينا وعسى أن تأتى الأيام بجديد.

نعود الى أسرة أحمد لنعرفها عن قرب، أمه امراءة طيبة من زمن الفن الجميل، أى لا تحقد على الأخرين، صابرة وراضية أو مؤمنة وزاهدة فى

الحياه بيد أنها مريضة بالضغط والنقرس، ولكنها لا تهتم، اهتماها الأول هو أبنائها، تدعو لهم فى كل صلاه أن ينقذهم الله من رماح الفقر، أن يأخذ بيدهم، أن يسدد خطى ابنها الكبير أحمد على طريق الصواب، أن يرزقة زوجة وأبناء تحملهم على يدها، أن يعوضه الله خيرًا على بره بها وإنفاقه على إخوته وعلى صبره وتماسكه، أن وأن وأن ..

إخوته ثلاثة بنات وأربعة ذكور فى مراحل مختلفة من التعليم الإبتدائى، ماعدا (عبد الهادى) أكبرهم سنًا فى الصف الثانى الإعدادى، عبدالهادى بدوره مختلف عن إخوته فهو طفل شقى يعشق العربدة والمشاكل ينتظره مستقبل بارع فى البلطجة هو يتتطلع إليه، أما باقى إخوته فهم جميعًا هادئون طيبون مثل والدتهم.

كل تلك الأفواه الجائعة، الأجساد التى تحتاج لكسوة، النفوس التى تحتاج للترفيه، كلها فى رقبه أحمد المنحنية للأمام من غلظة الأحمال، ولكنها تقاوم بشراسه من أجل توجيه دفة السفينه إلى بر الأمان مهما كانت العواقب حتى إن مات القبطان .

نعم وقف أحمد شاردًا يتذكر تلك الكلمات من أبيه قبل رحيله بأسبوع (عليك أن تقاوم بشراسة مهما كانت العواقب، أنت كبيرهم ولتفعل معهم ما فشلت أن أفعله، علمهم، أحسن تربيتهم، احمهم وكن درعًا واقيًا لهم ولأمك)، تذكر أحمد تلك الكلمات ، تساقطت دمعة من عينه فشل فى منعها، كان أبيه رجلًا طيبًا على باب الله يعمل فى غسيل الموتى، معروف لكل سكان الحارة وموتاهم، يقصده أهل أى متوفى دون تردد ليس فقط

لطيبته وأخلاقه ولكن أيضًا لأنه يرضى بالقليل، هى مهنته وموهبته أيضًا التى حباه الله بها..ظل أحمد يتذكر مشهد والده وهو يصارع الموت، يقاوم من أجل البقاء، يتضرع إلى الله أن يحمى أسرته من بعده، وأحمد واقفٌ غير واقفٍ، صامتٌ غير صامتٍ؛ فأعماقه كانت تغلى من شدة الحزن وفاضت الدموع من عينيه فى هستريا لم يشهدها من قبل فى حياته، الأشياء الثمينة لا يقدرها البشر إلا بعد انحرافها عن دوامه الوجود، هكذا أحمد لم يعرف قيمة الأبوة إلابعد رحيل والده، هوالأن الأب لأخوته، ..
(يالها من مسئولية كبيرة...).
صرخت نفسه بتلك الكلمات وهو يطرق على قطعة حديد مضلعة أمامه اهتزت يده، فطرقت المطرقة إصبع السبابه بيده اليمنى، تنهد بضيق وتحسس إصبعه، ثم هلع لسكب الماء عليه من الصنبور، وجلس يلتقط أنفاسه المتلاحقة والمليئة بالصراعات، ثم أمر عماد أكبر العمال عنده بإنهاء بعض الاعمال وأن يدير العمل حتى يعود، وتحرك أحمد صوب المسجد ليصلى العصر فى جماعة ..

(2)

إنتظرها عند عودتها من الجامعة على ناصية أحد الشوارع المهجورة، كانت الشمس تلقى بأشعتها الحمراء وتحتضر فى الأفق، اقتربت هى منه وعلى ثغرها إبتسامه دافئة ثم صافحته، أمسك يدها بين يديه وهرع يلتقط أنفاسه

الهاربة من ضعفه أمامها، قالت :

- ماذا ستفعل ؟ العريس الجديد رائدٌ فى جهاز أمن الدوله ومن أسرة مرموقة وغنية، سيوافق أبى عليه.

صمت لحظات صمتًا ضايقها، ولكنها رفقت به وإبتسمت وإستطردت:

- لا تقلق فأنا لك ولست لغيرك.

- إذا ما الجديد يتقدم لأبيك بمعدل كل أسبوع رجل وأنت أو هو يرفضه.

- لكن هذه الحاله الأمر مختلف..

- قال فى عصبية ضايقتها : وما الإختلاف ؟ هل تريدينه ؟.

تطلعت صوبه بنظرة ذات مغزى .

- لوكنت أريده إذا لما قابلتك؟

طبع على جبينها قبله وشرع فى الإعتذار.

- أعتذز لعصبيتى، ولكنك تعرفين قدر حبك بداخلى، وماذا تمثلين فى حياتى البائسة.

- لا تقل ذلك .. سيفرجها الله.

- متى يادينا ؟ قطار العمر ينطلق بى ولا يقف فى أى محطة، وأسرتى ليس بإمكانى التخلى عنها.

- سيفرجها الله كن مؤمنًا .

- هز رأسه وتمتم: ونعم بالله.

- لم تسألنى ما الإختلاف؟

هز رأسه مستفسرًا

قالت:

- إنه صاحب نفوذ واسع ولا يرحم.
ضمها بين ذراعيه ثم ابتعدت عندما لمحت ظلاًعلى ناصية الشارع الأخرى.
وقال بثقة :
- لا تقلقى لن يجرؤ أحدٌ أن يلمس خصلة من شعر قطتى الصغيرة سأواجه العالم من أجلك.
قالت:
- لست خائفة على نفسى بقدر خوفى على أسرتى خصوصًا أبى.
- ماذا تقصدين؟
- لا أعرف ثمة هواجس تمزقنى من الداخل.
كان الظل يقترب، سارعت بتودعيه خوفًا أن يراها أحد.

(3)

فى المساء جاء العريس الجديد فى قمة أناقته، جلس مع والداها فى الصالون معتدًا بنفسه. أما هى فكانت تتلصص من خلف باب غرفتها، وهى فى قمة قلقها وتوترها، قلقًا نابعًا من ضعف والداها أمام رجال الشرطة وشدة إعجابه بهم. واستطاعت سماع مايلى:
- لم تجب على عرضى.
- فى الحقيقة الجواز قسمة ونصيب وبنتى..

- ماذا كان ردها؟
- الحقيق... الحقيقة لا تريد الزواج الآن.
- إذا متى ستتزوج؟.
- عندما تريد.
-قال الرجل متهكماً :
- وأنت ماذا تفعل ؟ تنظم المرور ..ثم ضحك بهستريا
تألمت دينا واستشاطت غضبًا من سخريته بأبيها، إنتفضت للدفاع عن كرامة أبيها وهبت للخارج حتى وقفت على مقربه منه ..
رمقته بغضب ووجهها مكفهرًا .. وقالت:
- ماذا تريد أيها الرائد؟.
هب واقفًا فى خيلاء وصاح : إسمى ساعت الباشا رفيق وهبى .
-عندما تكون ضيفًا فالألقاب ليس لها محل من الإعراب .

إقترب منها فى بطء وضحك بهستريا:
- لماذا ترفضين شخصًا، الدنيا كلها تأتمر بأوامره وتهلع القلوب جزعًا منه.
قالت فى [عنتزة] مقصودة:
- لأنه ليس الشخص المناسب لى .
رمقها بغضب وتورد وجهه بالدماء وكز على أسنانه وكأنه يمنع بقايا كرامته الزائفة من الخروج من أعماقه بعد أن دهستها دينا بكلماتها، وصاح:
- ستندمين .
أشارت بيدها صوب الباب وقالت:

- مع السلامة ..
ظل رفيق واقفًا يحاول الصمود وتجميع قواه وكرامته المبعثرة تحت أقدام دينا، وحاول والد دينا تلطيف ما تعكر من أجواء، ولكن بعد فوات الأوان، خرج رفيق غاضبًا وبقيت دينا واقفة وكأنها على خشبة المسرح بعد انتهاء فقرتها والجمهور يصفق لها، حتى أفاقت على صفعة من والدها، تكرر صداها فى جميع أنحاء المنزل وهو يصرخ:
- ماذا فعلتي ؟؟

(4)

قصة دينا مع رفيق أصبحت حديث الصباح والمساء فى كل شوارع وأزقة الحارة، الجميع أصيب بالذعر مما جرى ومما سيجرى، العاصفة ستأتى حتمًا وتقتلع منزل اللباد بمن فيه ولن يتبقى إلا الرماد، غير أن العاصفة عندما تأتى تأخذ الصالح والطالح..
الكل كان خائفًا من المصير المجهول ل (دينا) بيد أنها أضحت بين عشية وضحاها مثالاً للفتاة الحديدية التى قهرت الخوف ودهست على جسمانه معتدة بكرامتها ..
نعم الخوف، فالكل يعرف دلالة رائد أمن دولة ومدى سلطته ونفوذه، الكثير من المنازل فى حارتنا ذاقت الويلات، بات رجالها خلف الشمس سنوات وسنوات، ثم عادوا من خلف الشمس وأجسادهم محفور عليها خنادق من

السياط ستبقى ذكرى لأيام المجهول ..
المجهول، خلف الشمس، الخوف، المكان الذى لايعرفه الذباب الأزرق الجحيم، الخراب .. كلها مرادفات لوجهة واحدة، يهرب منها الجميع فى حارتنا المسكينه، وتسقط قلوبهم هلعًا عن ذكر إحداها إلا دينا يبدو أنها تركت القطيع وستواجه المصير، ولكن أى مصير..
- لك الله يادينا
قالتها أم أحمد وهى تنقى حبات الأرز من الشوائب، أما أحمد فكان شاردًا منعزلًا فى إحدى الأركان، يدخن بهستريا، تدور الأفكار فى عقله وهو يفرك يده بعصبية ملحوظة ويتمتم:
- ماذا ستفعل يا أحمد ؟؟

نادته أمه مرات ومرات، لكنه ظل يصارع أفكاره وهواجسه، ماذا يتحتم عليه أن يفعل ؟العاصفة ستأتى وهو مازال مرتبكًا، لا ناقة له ولا جمل وبالفعل أتت العاصفة حسب التوقعات ..
عربات الشرطة ملأت شوارع حارتنا وحاصروا محلات اللباد، هرع كل الناس لمشاهدة العاصفة حصريًا، إقتحمت قوة من الشرطة إحدى المحلات المغلقة، دمروا الأقفال ودلفوا إلى داخل المحل، اللباد كان واقفًا متسمرًا يتهاوى قلبه مصدومًا وغرق حذائه مبتلاً لقد بال على نفسه، خرج رجال الشرطة بعد قليل من المحل ووقفوا فى وسط الشارع، تقدم بعض المخبرين وأعطى قماشة ملفوفة لرفيق باشا كما ينعى نفسه، وكانت دينا على بعد خطوات من أبيها، أمسك رفيق اللفافة وفتحها فإذا بها مسحوق أبيض، لم

أكن أعرف أن العواصف تأتى بتراب أبيض..
المهم.. تقدم رفيق صوب اللباد الذى تلبد جسمه بقشعريرة وبات فأرًا أمام خصمه، صاح رفيق متهكمًا:
- مخدرات يا لباد بيه ..
هز صدى الصوت منازل حارتنا، تعالت الصيحات فى البلكونات . على أوجه بعض النساء والرجال معالم السعادة والتشفى، الغالبيةكانت مصدومة ومتأثرة هذه هى حارتنا وقت الشدائد، أما أحمد فكان تائهًا صعقته المفاجئة وإقتلعت العاصفة ما تبقى له من أمل فى الزواج من دينا فتاته التى رباها، قطته الصغيرة الوديعة الآن باتت محاصرة بين أن تضحى بوالدها للأبد وتبقى من أجل حبيبها، أو ترضخ وتركع مستسلمة للأسد من أجل أن يعفو عن والدها، نعم والدها مهما فعل ومهما كان هو مازال أبيها، تحرك أحمد ببطء للأمام وهو يجر أزيال الهزيمة، قطته سترضخ حتمًا هذه هى الحقيقة، الإختيار صعب بين كفتين فى إحدهما حديد خردة بلا وزن .. نعم حديد خردة، لماذا ستختاره رغم أن الدنيا رفضته ؟ الهواء استباح بريقه، علا جسده صدأ وكبلت ملامحه الجمود، بات قطعة من الحديد تتحرك بين المارة، قطعة تتقدم إلى الأمام، قطعة ليس بها شيئًا جميلاً سوى دينا.
قطته الصغيرة الحائرة، تقدمت القطة صوب أبيها وهى تبكى بحرارة إحتضنت أبيها، تقدمت صوب رفيق باشا، تطلع إليها هو بخيلاء وغرورقالت وهى مهزومة:
- إنى موافقة.

ابتسم ابتسامة صفراء وقال :

- بعد فوات الأوان ..

اقتربت منه حتى وقفت أمامه وتعانقت أنفاسها المستسلمة مع أنفاسه الجارفة وقالت :

- أبى لا ذنب له.. إنى أحبك وسأكون زوجتك عفا الله عما سلف ..

خفق قلب رفيق بقوة وهو يتشمم عطر القطة وقال :

- والمخدرات.

- قالت : إنها صبغة بيضاء للملابس، أنت من وضعتها، وأنت من سيأخذها القصة سهلة للغاية.

كانت قطعة الحديد مازالت تتحرك حتى وضع رفيق يده على كتف القطة وجذبها بجواره وأمر رجاله بالانصراف وصاح بعلو صوته:

- بلاغ كاذب، محلات اللباد محلات عريقة وما وجدناه هو صبغة بيضاء للملابس، تعالت الزغاريد الفرحة، وامتزجت بالمنافقة، وارتسمت سعادة غامرة على اللباد ورفيق ودينا للأسف وكل من فى الشارع إلا قطعة الحديد ظلت تخترق الزحام دون أن تتكلم حتى توقفت على بعد مترات من القطة كانت المواجهة بين الماضى الحافل بالذكريات والوعود الكاذبة وبين الواقع الذى كان مجهولًا وبات الآن حقيقة لا تحتمل التأويل أو التكذيب ولا الرفض فالكل استسلم لها وصفق بحرارة إلا قطعة الحديد خرجت منها رصاصة صوب القطة فصرعتها ثم صاحت :

- سامحينى ياقطتى لقد عاهدتك أن لا يلمس أحدٌ خصلة من شعرك وها أنا ذا أفى بعهدى ..

ثم سقطت قطعة الحديد صريعة من رصاص قوات الشرطة، لكنها لم تنزف دماءًا، وهل ينزف الحديد دمًا ؟ بل نزفت صداً وشظايا داست عليهم الأقدام المهرولة صوب جثة دينا ولم يهتم بها أحد سوى (ثمان أفواه جائعة) ظلت تصرخ دون توقف .

سيرة ذاتية :

كاتب روائى وسينمائى شاب
حاصل على بكالوريوس علوم طبية بيطرية، ودراسات عليا فى أمراض الطيور البرية والمائية والمهاجرة
ويدرس الماجستير فى نفس التخصص
من أفلامه القصيرة شخابيط والسرِّيخ ومسرحية صرخات للبيع
و ستنشرله أعمال روائية وقصصية تباعًا .

للتواصل مع المؤلف

Mustafa.sabet@yahoo.com

فهرس

زمن السـداح مـداح	٧
امرأة وحيدة أحبتني	١٣
أنت ذراعي اليمني	١٩
سور المدرسة	٢٥
لحاف ستي	٢٩
جاسمين	٣٣
السـرراب	٤١
طريق القمة	٤٩
ستانلي	٥٧
المتمردة	٦٣
السقوط	٧٣
الخادم	٧٥
المولد	٧٩
السنارة غمزت	٨١
اللغز	٨٧
مفيش فايدة	١٠١
قصة لم تكتمل	١٠٥
الرقص في الهواء	١٠٩
السكون	١١٣
الفأر	١٢١
لحام الحديد	١٢٥
سيرة ذاتية :	١٣٩

رقم الايداع / ٢١٠٩٤/ ٢٠١٣ ط١
الترقيم الدولى / 978 - 977 - 5311 - 20 - 7